جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

التربية بالابتلاء في القرآن الكريم
"سورة القصص نموذجا"

إعداد الدكتوره

هناء عبد المحسن محمود ماضي

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

مستلة من

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد التاسع والثلاثون،
لعام ١٤٤١هـ- يونيو٢٠٢٠م والمودعة بدار الكتب تحت رقم
٢٠٢٠/٦١٥٧ والترقيم الدولي I.S.S.N ٢٦٣٦-٢٤٨١

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

ملخص البحث

التربية بالابتلاء في القرآن الكريم" سورة القصص نموذجا"

د. هناء عبد المحسن محمود ماضى
قسم التفسير وعلوم القرآن □ كلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات بالمنصورة
الإيميل dr.hanaamady- 2070 @azhar.edu-sa

إن موضوع الابتلاء في القرآن الكريم بالغ الأهمية لارتباطه بحياة البشر، فالابتلاء سنة كونية لزمت العباد منذ أن خلق الله (ﷻ) آدم وحواء وهى واقعة لا محالة في كل زمان ومكان.

وأمتنا الإسلامية اليوم أصاب معظمها من الابتلاء بالضراء الكثير، ولأن (ﷻ) تكفل للأمة ألا تفنى على يد عدوها أو بالآفة السماوية، ولأنه أيضا (ﷻ) وعد أمة الإسلام بالخير والقيادة – إن هي تمسكت بدينها – فإن هذا البحث يعتقد أن ما بالأمة اليوم من مصائب وكوارث طبيعية وأمراض وبائية كوباء فيروس كورونا (١٩- Covid) هو من باب التربية بالابتلاء.

واهتم البحث بإبراز الإبتلاءات في سورة القصص، وأظهرت الباحثة منهج القرآن الكريم في التصور للطغيان، وتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالى:

المقدمة: اشتملت على أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

- **التمهيد:** وقفات مع معانى الابتلاء والمحن والفتنة.
- **المبحث الأول:** بين يدى سورة القصص وفيه أربعة مطالب.
- **المبحث الثانى:** الابتلاءات في سورة القصص، وفيه ستة مطالب.
- **المبحث الثالث:** الابتلاء كتجربة تربوية، وفيه خمسة مطالب.
- **الخاتمة:** واشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: التربية – الابتلاء – سورة القصص.

ABSTRACT
Education with Affliction in the Holy Quran
" AL-QASAS as a Model"

Dr. Hana Abdel-Mohsen Mahmoud Madi
Dept. of interpretation and Quranic Sciences
faculty of Arabic and Islamic Studies for Women
Email:dr.hanamady-2070 @azhar.edu-sa

The issue of affliction in the Holy Qur'an is extremely important because it is related to human life. Affliction is a cosmic law. Affliction followed people since God created Adam and Eve. Affliction will inevitably happen in every time and place.

Today most of our Islamic nation has been afflicted with a lot of damage. God has pledged that the Islamic nation will not be destroyed by its enemy or by the heavenly epidemic. God promised the Islamic nation leadership and goodness- if it sticks to its religion- This research believes that the Islamic nation is facing many natural disasters and epidemic diseases, such as COVID19 , as a matter of affliction and education.

This research clarified the affliction in Al-Qasas. The researcher demonstrated the Holy Quran approach in portraying tyranny. This research consists of an introduction, preamble, three sections and conclusion.

The introduction included the importance of research, reasons for selecting, research objectives, previous studies, and research methodology.

- Preamble refers to the meanings of affliction and tribulation.
- The first topic talks about Al- Qasas.it has demands.
- The second topic is the affliction in Al-Qasas and it has demands.
- The third topi: Affliction as a loyal educational experience and it has Five demands.
- Conclusion. It included the most important results and recommendations.

Key words: Adduction - affliction and Stories.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، **أما بعد،،،**

إن جهل المسلمين بسنة الابتلاء، في ظل الواقع المأساوى الذى تحياه الأمة يشكل خطراً كبيراً على مسيرة النهوض والوصول إلى التمكين، بسوء صنيع المسلمين وسوء ظنهم بالله، وافتقادهم لأهلية التمكين التي وعد الله بها عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وليس الابتلاء على مستوى الأفراد فحسب، وإنما يقع أيضا على مستوى الجماعات والشعوب والدول، ونحن نرى في ذلك سلسلة من المحن والابتلاءات لا تنتهى سواء كانت هذه الابتلاءات جرت بأيدى البشر أو بغيرهم، فالعالم كان ولا يزال يعانى من أزمات إنسانية مستمرة ناجمة عن الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين، والأمراض الوبائية مثل فيروس كورونا المستجد (Covid-١٩) التي تتعرض لها البشرية في آفات عديدة، وهو ما يفرض علينا ضرورة أن يكون القرآن الكريم هو كتاب الله المبين، الذى أنزله رب العالمين على رسوله (ﷺ) وموعظة للمتقين، وحدد الله تعالى فيه معالم الطريق، وأصول العدل، ومناهج الخير، وضوابط السلوك، وقواعد الهداية والتشريع، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩].

وأنه لا يخفى على أحد أن الحياة الدنيا مليئة بالابتلاءات، وأن كل مؤمن ومؤمنة عرضة لكثير منها، فمرة يُبتلى بنفسه، وقد يُبتلى بماله، وأحيانا يُبتلى بأهله، وهكذا تتقلب عليه الأقدار من لدن حكيم عليم، وإذا لم يحمل المؤمن النظرة الصحيحة للإبتلاء فسيكون زلله أكبر من صوابه، ولاسيما أن بعض المصائب والابتلاءات تطيش منها العقول لضخامتها وفجاءتها، عياذاً بالله، فكان لابد من توجيه الشباب المسلم إلى المفهوم السليم للابتلاء، ورسم الصورة الواضحة له، لتصحيح التصور عندهم بالتربية بالابتلاء في هذه الحياة.

ولما كان الإسلام دين الله الخاتم، وقرآنه شفاء لما فى الصدور (أفراداً وجماعات) وهدى ورحمة: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

فإن هذا البحث حاول أن يقدم جانباً مهماً من جوانب التربية بالابتلاء، يحسبه مغيباً، إذ أن ما نعيشه اليوم – بزعم الباحثة – ما هو إلا تربية بالابتلاء.

فمن الضرورى أن يدرك الإنسان أن الابتلاء جزء من حياته، ووجوده، فلم يخلق الله هذا الإنسان عبثاً، بل كل حياته تقع فى دائرة الابتلاء والامتحان، وعليه أن يعى الإنسان أن هذه الحياة هى دار الابتلاء، وهى دار الممر والعبور للآخرة، لذلك يقول تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تبرز أهمية البحث من كونه:

١- يلبى تزايد الحاجة إلى مثل هذه التربية اليوم، لكثرة الابتلاءات وتنوعها، وآخرها الابتلاء بفيروس كورونا المستجد المعروف بكوفيد (Covid١٩).

٢- الوقوف على حقيقة الابتلاء من أجل تصحيح مفاهيم المسلمين تجاهه، وتحقيق المقاصد المرجوة منه.

٣- يعمل على زيادة الثقة بالقرآن الكريم.

٤- محاولة الكشف عن ظواهر الابتلاء فى القرآن الكريم التى تخدم موضوع البحث.

٥- يقدم البحث مساهمة جديدة وهى الاستفادة من عوامل نجاح دعوة الأنبياء فى الدعوات المعاصرة.

وأما عن أسباب اختيار الموضوع فهى كثيرة منها ما يلى:

١- ما يصيب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من ابتلاءات ومحن في العصر الراهن، لبيان الدروس والعبر المستفادة منها، إلى جانب الحق والثبات والصبر والتمسك بالعقيدة مهما تكن الظروف والأحوال.

٢- ما تحمله السورة المكية – على وجه العموم – من طابع خاص في التربية الإيمانية، وتقوية وتصحيح المفهوم العقدى عند الأمة.

٣- بين الله في سورة القصص العديد من صور المحن والابتلاءات وعلى منهج القرآن الكريم في حلولها والتغلب عليها.

٤- أثناء تلاوتى للقرآن الكريم، كنت أقف عند آيات كثيرة فى ابتلاء المؤمنين وكنت أسأل نفسى دائما: ما هو الابتلاء؟ وما الحكمة فى ذلك الابتلاء؟ فكان هذا أكبر دافع لدراسة هذا الموضوع.

أهداف البحث:

١- تحديد مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم.

٢- بيان مدى اهتمام سورة القصص بموضوع الابتلاء وصلة باقى الموضوعات فيها به.

٣- الإرشاد إلى العودة للقرآن الكريم منهجاً لحياتنا.

٤- محاولة الكشف عن ظواهر الابتلاءات في القرآن الكريم في ضوء سورة القصص.

الدراسات السابقة:

لابد من ذكر الجهود السابقة والدراسات التى بذلت فى موضوع الابتلاء اعترافاً لأجعل الفضل بفضلهم وفى حدود معرفتى فإن هذا الموضوع لم يفرد فى الكتب القديمة ببحث مستقل إلا من خلال ما أشار إليه علماء التفسير والحديث والسيرة والتاريخ فى مباحث فى أمهات الكتب، وبعد الاطلاع والنظر فى الكتب والدراسات التى توفرت لدى إلا ما تم تغطيته من جوانب معينة:

١- الابتلاء والمحن فى الدعوات لمحمد عبد القادر، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٦.

٢- موسوعة نظرة النعيم فى أخلاق الرسول (ﷺ) لفريق كبير من المتخصصين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٣- مفهوم الابتلاء فى القرآن الكريم، لنصار أسعد نصار، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٠، العدد الأول، دمشق، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤- الابتلاء فى القرآن الكريم لمحمد يوسف أحمد دوفش، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ١٩٨٨م.

٥- الفتنة فى القرآن الكريم، لحسن المعلمى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، ٢٠١٠م.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج الاستقرائى الوصفى، وذلك من خلال ما يلى:

١- جمع الآيات القرآنية التى تتحدث عن الابتلاءات فى سورة القصص، ووضع عناوين لها تتمثل فى عناوين المباحث الرئيسة، والمطالب الفرعية عنها، ودراسة الآيات دراسة موضوعية.

٢- قمت بعمل تراجم مختصرة للأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا البحث في الحاشية مع ذكر المصادر في ذلك.

٣- الاستشهاد بالأحاديث النبوية الصحيحة، والتى تخدم موضوع البحث.

٤- محاولة ربط موضوعات سورة القصص بالواقع المعاصر ما أمكن.

٥- توثيق المصادر والمراجع وفق المتعارف عليه في البحث العلمى حيث يكون توثيقا كاملا عند أول ورود له، ثم أكتفى باسم المؤلف والكتاب والجزء والصفحة إذا ورد مرة أخرى مع الإشارة إليه كمرجع سابق.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

تمهيد: مفهوم الابتلاء، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** معنى الابتلاء فى اللغة.
- **المطلب الثانى:** معنى الابتلاء فى الاصطلاح.
- **المطلب الثالث:** ما جاء فى القرآن الكريم بمعنى الابتلاء.

المبحث الأول: بين يدى سورة القصص، وفيه ستة مطالب:

- **المطلب الأول:** اسم السورة وعدد آياتها.
- **المطلب الثانى:** زمن نزولها.
- **المطلب الثالث:** المحور الرئيسى للسورة وعلاقته باسمها.

- **المطلب الرابع:** الهدف العام للسورة.
- **المطلب الخامس:** التناسب والتناسق بين سورة القصص وما قبلها وما بعدها.
- **المطلب السادس:** التناسب بين بداية السورة وخاتمتها.

المبحث الثانى: الابتلاءات فى سورة القصص وفيه سبعة مطالب:

- **المطلب الأول:** ابتلاء بنى إسرائيل بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم.
- **المطلب الثانى:** ابتلاء أم موسى بإلقاء موسى (عليه السلام) فى اليم.
- **المطلب الثالث:** ابتلاء موسى (عليه السلام) بقتل القبطى وفراره إلى مدين.
- **المطلب الرابع:** ابتلاء موسى (عليه السلام)عند تكليفه بالرسالة (فى سبيل الدعوة إلى الله).
- **المطلب الخامس:** ابتلاء قوم قارون من خلال استعلائه عليهم بالمال والجاه والسلطان.
- **المطلب السادس:** ابتلاء موسى (عليه السلام) بالفقر والجوع.
- **المطلب السابع:** ابتلاء النبى (ﷺ) بتكذيبه من قبل المشركين.

المبحث الثالث: الابتلاء كتجربة تربوية، وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** حكمة الله (عز وجل) في الابتلاء:

  أولا: حكمة الابتلاء بالضراء.

  ثانيا: حكمة الابتلاء بالسراء.

- **المطلب الثانى:** الابتلاء للوقاية والإعداد:

  أولا: موسى (عليه السلام) ونجاح الاختبار.

  ثانيا: هلاك فرعون وأتباعه وفشل الاختبار.

  ثالثا: هلاك قارون وقومه وفشل الاختبار.

رابعا: هلاك الطغاة فيه عبرة لأولى الألباب.

- **المطلب الثالث:** الابتلاء للبناء والتوجيه.
- **المطلب الرابع:** الابتلاء بالمحاسبة والتقويم.
- **المطلب الخامس:** أساليب القرآن الكريم في التربية بالابتلاء:

أولا: أسلوب القصة.

ثانيا: أسلوب الموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هي أحسن.

ثالثا: أسلوب التربية بالأحداث (التربية بالخبرة).

رابعا: أسلوب الترهيب والترغيب.

النتائج والتوصيات.

أولا: النتائج.

ثانيا: التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد

معنى الابتلاء

المطلب الأول
الابتلاء فى اللغة

البلاء والابتلاء يلتقيان فى معنى الاختبار والامتحان، وهما إسمان من بلاه يبلوه وابتلاه، أى جرَّبه، يقال: "بلوت الرجل بلواً وبلاءً وابتليته: أى اختبرته، وبلاه يبلوه بلواً: إذا جربه واختبره"(١).

وبُلىّ فلان وابتُلى: إذا امتحن، والبلية والبلوى والبلاء واحد، والجمع البلايا، والابتلاء: الاختبار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥] والمعروف أن الابتلاء يكون فى الخير وفى الشر معا.

جاء فى لسان العرب: "قال ابن الأعرابى: أبلى بمعنى اختبر، وابتلاه الله: امتحنه، والاسم: البلوى والبلوة والبلية والبلاء، وبُلىّ بالشئ بلاءّ وابتُلىّ"(٢)

وقال الفيروزآبادى(٣): "وابتليته: اختبرته. وابتليت الرجل فأبلانى: استخبرته فأخبرنى، وامتحنته واختبرته، كبلوته بلواً وبلاءً، والاسم: البلوى والبلية والبلاء: الغم كأنه يبلى الجسم. والتكليف بلاء، لأنه شاقّ على البدن أو لأنه اختبار"(١).

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، (٨٤/١٤)، د.ط، بيروت، لبنان، مادة: بلا، ١٩٩٠م.

(٢) المرجع نفسه (٨٤/١٤)، مادة بلا (بلى).

(٣) هو مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد أبو طاهر الشيرازى إمام اللغة والأدب، ولد بكارزين (بلدة بفارس) سنة ٧٢٩هـ، وتوفى ٨١٧هـ.

انظر: أبو زيد، بكر بن عبد الله: طبقات النسابين، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ص ٢١٤.

وفى المعجم الوسيط: "ابتلاه: جرّبه وعرفه. والبلاء: الحادث ينزل بالمرء ليختبر به. والبلاء: الغم والحزن، والبلاء: مبالغة الجهد فى الأمر، والبلى: القدم، والبلوى: المصيبة، والبلىً: الشديد البلى. البليةُ: المصيبة، وجمعها بلايا"(٢).

وتستنتج الباحثة مما سبق أن البلاء والابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان، وبمعنى مبالغة الجهد فى الأمر.

المطلب الثانى
الابتلاء فى الاصطلاح

ببحثنا فى أقوال العلماء والمفسرين، وجدنا المعانى الآتية للابتلاء:

١- جاء الابتلاء عند القرطبى(٣) بمعنى التعبّد بالشرائع: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، قال: قوله تعالى: (ولنبلونكم) أي نتعبدكم بالشرائع وإن علمنا عواقب الأمور، وقيل: لنعاملنكم معاملة المختبرين"(٤).

---

(١) الفيروزآبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم: القاموس المحيط (٣٢٧/٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، مادة بلى.

(٢) إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، محمد على النجار: المعجم الوسيط، (٧١/١)، مجمع اللغة العربية، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

(٣) محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصاربالخزرجى، الأندلسى، القرطبى، مفسر، توفى بمدينة بنى خصيب بمصر فى شوال سنة ٦٧١هـ.

انظر: عمر كحالة: معجم المؤلفين، (٢٣٩/٨)، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د.ت.

(٤) القرطبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/٦)، تحقيق: هشام سمير البخارى، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢- جاء البلاء بمعنى النعمة، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان:٣٣] أى نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر(١).

٣- جاء الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان، قال الطبرى(٢): أصل البلاء فى كلام العرب الاختبار والامتحان، ثم يستعمل فى الخير والشر لأن الامتحان والاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨]، يقول: اختبرناهم، وكما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥](٣).

وقال ابن عاشور(٤): البلاء الاختبار بالخير والشر. قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وهو مجاز مشهور حقيقته بلاء الثوب بفتح

---

(١) الألوسى، شهاب الدين: روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى (١٢٦/٢٥)، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما فى فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، توفى سنة ٣١٠هـ ببغداد.

انظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس ا لدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، (١٩١/٤ – ١٩٢) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.

(٣) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، ط٢، (٤٩/٢)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة بن تيمية، القاهرة.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، توفى عام ١٣٩٣هـ.

انظر: الزركلى، خير الدين: الأعلام، ط٥، (١٧٤/٦)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

الباء مع المد، وبكسرها مع القصر وهو تخلقه وترهله، ولما كان الاختبار يوجب الضجر والتعب سمى بلاء كأنه يخلق النفس، ثم شاع فى اختبار الشر لأنه أكثر إعناتا للنفس، وأشهر استعماله إذا أطلق أن يكون للشر فإذا أرادوا به الخير احتاجوا إلى قرينة، فيطلق غالبا على المصيبة التى تحل بالعبد لأن بها يختبر مقدار الصبر والأناة [١].

٤- قال أبو مسلم الأصفهانى[٢]: بلوت يقع على إظهار الشئ ويقع على امتحانه كقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ (محمد: ٣١)[٣].

٥- جاء فى تفسير البقاعى[٤] لقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١) أى نخالطها بأن نسلط عليها من يحرفها فيجعل حسنها قبيحاً، وقبيحها مليحاً ليظهر للناس العامل لله والعامل للشيطان[٥].

---

(١) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، (٤٩٣/١)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

(٢) محمد بن بحر الأصفهانى، أبو مسلم، كان نحويا كاتبا بليغا، متكلما معتزلا، عالما بالتفسير وغيره من صنوف العلم، وصار عالم أصبهان وفارس، له جامع التأويل لمحكم التنزيل – أربعة عشر مجلدا – على مذهب المعتزلة، والناسخ والمنسوخ.

انظر: الزركلى، خير الدين: الأعلام، (٥٠/٦)، مرجع سابق.

(٣) الرازى، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، (١٢٠/٣١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٤) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، الخرباوى، البقاعى، الشافعى، نزيل القاهرة ثم دمشق، عالم، أديب، مفسر، محدث، ومؤرخ، من مؤلفاته نظم الدرر فى تناسب الآى والسور، فى التفسير، توفى سنة ٨٨٥هـ، **انظر**: عمر كحالة: معجم المؤلفين (٧١/١)، مرجع سابق.

(٥) البقاعى، برهان الدين: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، (١٧٦/٧)، تحقيق: عبد الرازق غالب مهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

وإجمالاً يمكن أن **تستخلص الباحثة** أن الابتلاء فى الاصطلاح: هو اختبار من الله (ﷻ) للإنسان في أى منحى من مناحى الحياة الدنيا فى الخير أو فى الشر، قدرا منه تعالى.

المطلب الثالث
ما جاء فى القرآن الكريم بمعنى الابتلاء

أولا: الفتنة

الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار، من ذلك الفتنة، يقال: فتنت أفتن فتنا، وفتنت الذهب بالنار إذا امتحنته(١)، والفتن الإحراق، ومن هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات:١٣]، أى يحرقون بالنار، ويسمى الصائغ الفتان، وكذلك الشيطان واللص(٢).

من خلال ما سبق فإن الفتنة هى الاختبار والابتلاء والامتحان، وتكون فى الخير كما تكون فى الشر.

الفتنة فى الاصطلاح (الاستعمال القرآنى):

ذكرت كلمة الفتنة فى القرآن الكريم فى ستين موضعاً، وهى تدور حول المعانى الآتى ذكرها:

١- وردت الفتنة بمعنى الإضلال، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، (٤/٤٧٢)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، مادة: فتن.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، (١٠/١٧٠-١٧١)، مادة: فتن، مرجع سابق.

الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، قال ابن كثير(١): "ابتغاء الفتنة" أى: الإضلال لأتباعهم(٢).

٢- وردت الفتنة بمعنى الجنون، قال تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]، والمعنى بأيكم هى الفتنة والفساد الذى سموه جنونا(٣) فالمفتون بمعنى المجنون.

٣- وجاءت الفتنة بمعنى العذاب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

قال الألوسى(٤): أى عذبوا على الارتداد(٥).

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى البصرى، ثم الدمشقى الفقيه الشافعى الحافظ، عماد الدين بن الخطيب شهاب الدين، إمام محدث، مفتى بارع، ومن مصنفاته: التاريخ الكبير والتفسير الكبير، توفى سنة ٧٧٤هـ.

انظر: الأدنهوى، أحمد بن محمد: طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٧م، ص ٢٦٠ – ٢٦١.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (٨/٢)، ط٢، تحقيق: سامى بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٣) ابن عطية الأندلسى، أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٨٨٣.

(٤) محمود بن عبد الله الحسينى، الألوسى شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوى، نحوى، ولد ببغداد، وتقلد الإفتاء فيها وعزل، وسافر إلى الموصل فالقسطنطينية، توفى ببغداد سنة ١٢٧٠هـ، **انظر**: عمر كحالة: معجم المؤلفين (١٧٥/١٢)، مرجع سابق.

(٥) الألوسى، شهاب الدين: روح المعانى، (٢٣٩/١٤)، مرجع سابق.

٤- وجاءت الفتنة بمعنى الابتلاء والاختبار، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، قال البغوى(١): "وكذلك فتنا" أى: ابتلينا(٢).

٥- وجاءت الفتنة بمعنى الصد عن السبيل والرد، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩]، قال القرطبى: " يفتنوك" معناه يصدوك ويردوك(٣).

٦- وجاءت الفتنة بمعنى الشرك، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]أى شرك(٤).

٧- وتأتى الفتنة بمعنى الوقوع فى النفاق والمعاصى، قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ

(١) الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوى الفقيه الشافعى، يعرف بابن الفراء، ويلقب بمحيى السنة وركن الدين، كان إماما فى التفسير والحديث والفقه، وله من التصانيف معالم التنزيل فى التفسير وهو التفسير المشهور بتفسير البغوى وشرح السنة والمصابيح والجمع بين الصحيحين، وتوفى فى شوال سنة ٥١٦هـ، **انظر**: الأدنهدى، أحمد بن محمد: طبقات المفسرين، مرجع سابق، ص ١٥٨ – ١٦٠.

(٢) البغوى، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء: معالم التنزيل (تفسير البغوى)، ط٤، (١٤٧/٣)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٣) القرطبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/٦)، تحقيق: هشام سمير البخارى، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ط٢، (٥٢٥/١)، تحقيق: سامى بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُور﴾ [الحديد: ١٤] معنى (فتنتم أنفسكم) أهلكتموها بالنفاق والكفر، واستعملتموها في المعاصى والشهوات وكلها فتنة[١].

٨- وتأتى الفتنة بمعنى الشبهة فى الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِير﴾ [الأنفال: ٧٣]أى: شبهة فى الحق والباطل، وظهور الفساد فى الأرض، بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن[٢].

٩- وتأتى الفتنة بمعنى القتل والأسر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، وفتنتهم إياهم فيها حملهم عليهم وهم فيها ساجدون حتى يقتلوهم أو يأسروهم، فيمنعوهم من إقامتها وأدائها، ويحولوا بينهم وبين عبادة الله وإخلاص التوحيد له[٣].

تلاحظ الباحثة مما سبق أن معانى الفتنة أكثرها جاء بمعنى الابتلاء والاختبار، ولهذا يمكن أن نخلص إلى أن الفتنة فى الاصطلاح: ابتلاء من الله للإنسان فى نفسه، أو دينه، أو ماله، أو أهله، وتكون فى السراء والضراء.

ثانيا: المحنة المحنة فى اللغة:

المحن مفردها محنة، وكلمة محنة مأخوذة من الفعل محن، والمحنة: الخبرة، وامتحن القول: نظر فيه ودبره، ومحنت الفضة إذا صيغتها وخلصتها بالنار من

(١) البغوى، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، (١٤٧/٣)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، مرجع سابق.

(٢) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، ط٢، (٨٦/١٤ – ٨٧)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مرجع سابق.

(٣) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، ط٢، (١٢٣/٩)، المرجع السابق.

الشوائب. وامتحن الله قلوبهم للتقوى: خلص الله قلوبهم وصفاها وهذبها، ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيم﴾ [الحجرات: ٣]، ومحنته، وامتحنته خبرته واختبرته وبلوته وابتليته ومنه قوله تعالى:﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وأصل المحن: الضرب بالسوط، ومحنة عشرين سوطا: أى ضربه، ومحن الثوب: لبسهُ حتى أخلقه، والمحن: الليّن من كل شئ، والاسم المحنة، والمحن: العطية. والمِحنة: واحدة المِحَّن التى يُمتحن بها الإنسان من بليّة[١].

والمحنة واحدة المحن التى يمتحن بها الإنسان من بلية، والمحنة الخبرة، وامتحن القول نظر فيه ودبره[٢].

ومن خلال ما سبق **ترى الباحثة** أنه يمكن تلخيص المعانى اللغوية للفظ كلمة المحنة فى المفاهيم التالية:

(١) الجوهرى، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٢، (٢٢٠١/٦)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، (٣٩/١٣)، مرجع سابق، مادة: محن.

الأول: الامتحان والابتلاء.

الثانى: العطيَّة.

الثالث: الضَّرب بالسوط.

المحنة فى الاصطلاح:

ذكرت كلمة المحنة فى القرآن الكريم فى موضعين، وهما كالآتى:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيم﴾ [الحجرات: ٣].

الموضع الثانى: قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم﴾ [الممتحنة:١٠].

وقد جاءت في الموضعين بمعنى الاختبار والإخلاص، قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٣] اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه[١]، وقال أبو حيان: أي جربت ودربت للتقوى فهى مضطلعة بها، أو وضع الامتحان موضع المعرفة لأن تحقيق الشئ باختباره، أو ضرب الله

(١) البغوى، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، (٣٣٧/٧)، مرجع سابق.

قلوبهم بأنواع المحن لأجل التقوى، أى لتثبت وتظهر تقواها[١]. وقال الألوسى: قوله: (فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لألسنتهن في الإيمان"[٢].

وعلى هذا **ترى الباحثة** أن المحنة فى الاصطلاح هى ابتلاء وامتحان من الله تعالى للإنسان بشدَّة تصيبه لأجل إظهار حاله فيها.

ثالثا: التمحيص معنى التمحيص فى اللغة:

الميم والحاء والصاد أصل واحد صحيح يدل على تخليص شئ وتنقيته، ومحصه محصا: خلصه من كل عيب[٣].

ومحصت الذهب بالنار إذا خلصته مما يشوبه، والممحص الذى محصت عنه ذنوبه، قال ابن سيده[٤]: تمحيص الذنوب تطهيرها، وتأويل قول الناس: "محص عنا ذنوبنا" أي أذهب ما تعلق بنا من الذنوب، يقال محص الله عنك ذنوبك أى

(١) أبو حيان الأندلسى، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، (١٠٦/٨)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) الألوسى، شهاب الدين: روح المعانى في تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى، (٢٧٥/١٦)، مرجع سابق.

(٣) ابن فارس، أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، (٣٠٠/٥)، مرجع سابق، مادة: محص.

(٤) ابن سيده، إمام اللغة، أبو الحسن على بن إسماعيل المرسى، الضرير، صاحب كتاب "المحكم" فى لسان العرب، وأحد من يضرب بذكائه المثل. توفى سنة ٤٥٨هـ، **انظر:** الذهبى، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ط٩، (١٤٤/١٨)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

نقصها. فسمى الله ما أصاب المسلمين من بلاء تمحيصا لأنه ينقص به ذنوبهم، وسماه الله من الكافرين محقا[١].

قال الراغب الأصفهانى: أصل المحص: تخليص الشئ مما فيه من عيب. يقال: محصت الذهب إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث. قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] فالتمحيص ههنا كالتزكية والتطهير[٢].

وفى لسان العرب[٣]: المحص: التخليص والتنقية والاختبار والابتلاء، ومنه محص الشئ يُمحصه محصاً أى يخلصه مما يشوبه. قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]أى يخلصهم من الذنوب.

وعلى هذا **تؤكد الباحثة** أن المعنى اللغوى للفظ كلمة التمحيص هو التخليص والتنقية.

التمحيص فى الاصطلاح:

ذكرت كلمة التمحيص فى القرآن الكريم فى موضعين، وهما كالآتى:

الموضع الأول: جاء التمحيص بمعنى الابتلاء والاختبار، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١] أى: وليختبر الله الذين صدّقوا الله ورسوله، فيبتليهم بإدالة المشركين منهم حتى يتبين المؤمن منهم

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، (٣٣/١٣)، مرجع سابق، مادة: محص.

(٢) الأصفهانى، الراغب بن محمد بن المفضل: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودى، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢، ص ٧٦١.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، (٩٠/٧) مادة: محص، مرجع سابق.

المخلص الصحيح الإيمان من المنافق، وعن مجاهدفى قوله: "وليمحص الله الذين آمنوا" قال: ليبتلى[١].

الموضع الثانى: وجاء التمحيص أيضا بمعنى التخليص، قال تعالى: "... **وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور**" (آل عمران: ١٥٤) أى ليخلص ما فيها من الاعتقاد من الوسواس[٢].

وعلى هذا ترى الباحثة أن التمحيص هو الابتلاء لأجل التخليص من الذنوب.

(١) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، ط٢، (٢٤٤/٧)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مرجع سابق.

(٢) الألوسى، شهاب الدين: روح المعانىفى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى، (٩٧/٤)، مرجع سابق.

المبحث الأول

بين يدى سورة القصص، وفيه ستة مطالب

المطلب الأول

اسم السورة وعدد آياتها

قال الزركشى: "ينبغى النظر فى وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولاشك أن العرب تراعى فى الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر، أو مستغرب، يكون فالشئ، من صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق، لإدراك الرائى للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام، أو القصيدة الطويلة، بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"(١).

ولاشك بأن سورة القصص قد احتوت على ثلاث قصص متتالية: قصة سيدنا موسى (عليه السلام) مع فرعون، وقصة سيدنا محمد (ﷺ) مع الكفار، وقصة قارون مع قومه من بنى إسرائيل.

إن أسماء سور القرآن توقيفية وليست اجتهادية من عند أحد، ولو كانت الأسماء اجتهادية لكانت سورة القصص أولى أن تسمى: سورة موسى، لاشتمالها على قصته من حين مولده إلى أن أهلك الله تعالى فرعون وخسف بقارون، وذلك كما سميت سورة يوسف ونوح بذلك لاشتمالهما على قصتهما، ولكانت سورة هود أولى بأن تسمى (سورة القصص)، وذلك لاشتمالها على قصص سبعة من الأنبياء.

---

(١) الزركشى، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان فى علوم القرآن، (٢٧٠/١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.

وأما من قال أنها سميت بالقصص لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [القصص: ٢٥] فهذا توجيه غير صحيح، فقد وردت كلمة القصص فى سورة يوسف فى موضعين:

- قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].
- وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

ولكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم – أى القصص – وأيضا فكانت سورة هود أولى بهذا الاسم – بسورة القصص – لأنه ذكر فيها قصة سبعة أنبياء، فكان ينبغى العكس، أن تسمى سورة هود سورة القصص، وهذه سورة موسى(١).

ويؤكد ما ذهبت إليه الباحثة أن تسمية السور أمر توقيفى ما ذكره الإمام السيوطى فى الإتقان.. "لم يفرد لموسى سورة تسمى به مع كثرة ذكره بالقرآن، حتى قال بعضهم: كاد القرآن أن يكون كله لموسى، وكان أولى سورة أن تسمى به (سورة طه) أو (سورة القصص) أو (الأعراف) لبسط قصته فى الثلاثة، ما لم يبسط فى غيرها(٢).

(١) الدمشقى، أبى حفص عمر بن على بن عادل: اللباب فى علوم الكتاب، (٢١٢/١٥)، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) السيوطى، الحافظ جلال الدين: الإتقان فى علوم القرآن، ط٣، (١٢٣/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

وأما عدد آياتها ثمان وثمانون آية، وقد عدوا (طسم) آية كما جاء رسمها فى المصحف العثمانى[١] إلا أن الإمام الرازى في تفسيره قال: وهى سبع أو ثمان وثمانون آية[٢].

المطلب الثانى
زمن نزولها

سورة القصص من السور المكية فى قول الحسن، وعكرمة، وعطاء إلا أن بعض العلماء استثنوا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥]، فهو مدنى وذلك لرواية مقاتل حيث قال: فيها المدنى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾.

وقيل إلا آية وهى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥] وذلك لرواية ابن عباس وقتادة[٣] إلا آية نزلت بين مكة والمدينة.

---

(١) الزركشى، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، (١/١٧١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مرجع سابق.

(٢) الرازى، أبو عبد الله فخر الدين: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٢، (٢٤/٢٢٤)، مرجع سابق.

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين، توفى سنة ١١٧هـ، **انظر:** أحمد الحمصى: تهذيب سير أعلام النبلاء، (١/١٩٣)، مرجع سابق.

وقال ابن سلام فى الجحفة[١] فى وقت هجرة رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، وبعض العلماء حملوا هذه الآية على أنها مكية حيث نزلت على النبى (ﷺ) قبل وصوله إلي المدينة.

أي نزلت قبل الهجرة وجاء ترتيبها في النزول بين السور المكية[٢]، وهى الثامنة والأربعون من حيث النزول، وفى ترتيب المصحف الثامنة والعشرين، وذكر الزركشى أن نزولها كان بعد الشعراء والنمل، وقبل سورة الإسراء[٣].

المطلب الثالث
المحور الرئيسى للسورة وعلاقته باسمها

أولا: المحور الرئيسى للسورة

محور السورة الكريمة يدور حول فكرة الصراع بين الحق والباطل ومنطق الإذعان والطغيان، وتصور قصة الصراع بين جند الرحمن وجند الشيطان وقد ساقت فى سبيل ذلك أمثلة ثلاث لهذا الصراع الممتد من أول الخليقة إلى يوم القيامة[٤]:

(١) الجحفة: هى ميقات أهل الشام ومصر والمغرب، وهى قرية كبيرة كانت عامرة ذات منبر، وهى على طريق المدينة على نحو سبع مراحل من المدينة، ونحو ثلاث مراحل من مكة، وهى بالقرب من رابغ، وسميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها فى بعض الأعوام، **انظر:** ياقوت الحموى: معجم البلدان (١٢٩/٢)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) الزركشى، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان فى علوم القرآن، (١٧٠/١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، (١٩٣/١).

(٤) القطان، مناع: مباحث فى علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص٣٠.

المثال الأول: بنو إسرائيل، ومعهم موسى (عليه السلام) جانب الحق الذى كان ضعيفاً وسرعان ما انتصر على الباطل ويمثل فرعون وجنوده جانب الباطل.

المثال الثانى: يمثل محمد (ﷺ) والمؤمنون معه الذين استضعفوا بسبب إيمانهم جانب الحق وتمثل قريش جانب الباطل.

المثال الثالث: يمثل بنو إسرائيل الذين بغى عليهم قارون بجبروته وماله – جانب الحق، ويمثل قارون وجنوده جانب الباطل.

ثانيا: علاقة المحور باسمها

وسميت سورة (القصص) لأن الله تعالى ذكر فيها قصة موسى (عليه السلام) مفصلة موضحة من حين ولادته إلى حين رسالته، وفيها من غرائب الأحداث العجيبة ما يتجلى فيه بوضوح عناية الله بأوليائه وخذلانه لأعدائه(١).

المطلب الرابع
الهدف العام للسورة

الثقة بوعد الله تعالى، فقد تحقق وعد الله تعالى لموسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥] . وهذا تطمين من الله تعالى لرسوله الذى خرج من بلده مكة بشتى أنواع الأذى وأخبره الله تعالى أنه كما عاد موسى (عليه السلام) إلى مصر منصورا، كذلك سيعود الرسول (ﷺ) إلى مكة فاتحا منتصرا ومصداقا لوعد الله تعالى، وكذلك قصة قارون وتكذيب قارون والعبرة منها. قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ

(١) الصابونى، محمد على: صفوة التفاسير، ط٩، (٤٢٣/٢)، دار الصابونى، القاهرة، د.ت.

إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤] (القصص: ٧٦ – ٨٤)، وتكذيب مشركى مكة للرسول (ﷺ) والقرآن والرد على شبهاتهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٧ – ٥١]

المطلب الخامس
التناسب والتناسق بين سورة القصص وما قبلها وما بعدها

إن الصحابة – رضوان الله عليهم – لم يضعوا سورة معينة في موضع إلا بإشارة من رسول الله (ﷺ). والرسول (ﷺ) لم يضعها إلا بوحى إلهى. ولذا نجد أن هناك وشائج بين أواخر سورة النمل وأوائل سورة القصص بحديثهما معا عن تلاوة القرآن: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٢ – ٣]، وحديثهما عن منة الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:٩٣]، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، وأما قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣] فقد تناسب مع قوله تعالى في سورة القصص: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

وإذا ما جئنا إلى آخر سورة القصص وأوائل سورة العنكبوت نجد تشابهاً جد عظيم، وتناسقاً كبيراً، وتناسباً في المعنى والمبنى والمضمون والصياغة، فكان أوائل سورة العنكبوت امتداد لأواخر سورة القصص فنجد أن هناك حديثا عن العودة إلى الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ [العنكبوت: ٥]، وكلام عن الفتنة: ﴿وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]، وذلك مرتبط

بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]. فالحديث هو لازال متسقاً مترابطاً متماسك الصيغة.

ونجد كلاماً عن الإيمان الإلهى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥] وذلك مع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧]، فإن وجه المناسبة بينهما في عدم دعوة إلهاً آخر مع جزاء الإيمان والعمل الصالح.

ونجد كلاماً مهماً عن الدعوة إلي الله تعالى: ﴿وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧] يتناسب مع قوله تعالى في أوائل سورة العنكبوت: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] وبذلك كله يستقيم لنا ترابط سورة القصص وتناسقها وتناسبها مع أواخر ما قبلها (النمل) ومع أوائل ما بعدها (العنكبوت).

وعموماً فإن مقاصد سورة العنكبوت الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والدعاء إلى الله تعالى وحده من غير فترة، كما ختمت سورة القصص من غير تعريج على غيره (ﷺ)[1]. **وخلاصة ما سبق** فسورة القصص في تناسبها أوجدت تناسباً ووحدة في الموضوع في أوائلها وأواخرها.

(١) البقاعى، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط٣، (٥٣٣/٥)، مرجع سابق.

المطلب السادس
التناسب بين بداية السورة وخاتمتها

أوجه التناسب والترابط بين بداية السورة وخاتمتها كما يلى:

١- المقابلة بين الإيمان والكفر، كما في قوله تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

٢- ذكر عاقبة العلو، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

٣- المقابلة بين عودة موسى (عليه السلام) إلى أمه، وعودة رسول الله (ﷺ) إلى مكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص:٨٥].

٤- ونجد أن صفات المؤمنين في أولها كانت:

(أ) الإيمان: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص:٣].

(ب) الوراثة: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

(ج) التمكين في الأرض: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون﴾ [القصص: ٦].

ثم نجد في خاتمة السورة أن صفات المؤمنين هي:

(أ) الإيمان: ﴿وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِين﴾ [القصص: ٨٧].

(ب) الوراثة: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِين﴾ [القصص: ٨٥].

(ج) التمكين في الأرض: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين﴾ [القصص: ٨٣].

٥- بيان الوراثة الإيمانية، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين﴾ [القصص: ٥]، وقوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين﴾ [القصص: ٨٣].

٦- كل طغيان يعقبه هلاك كل شيء يطغى به، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين﴾ [القصص:٤]، وقوله: ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون﴾ [القصص: ٨٨].

٧- ذكر الآيات الإلهية مثل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [القصص: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]

وبهذا يكون أول السورة مترابطا كل الترابط مع آخرها بما يجعل من داخل السورة وحدة متكاملة.

المبحث الثانى

الابتلاءات فى سورة القصص، وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول

ابتلاء بنى إسرائيل بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم

إن بنى إسرائيل كانوا فى عيشة ذليلة وتحت سلطان قاهر زمن فرعون فأذاقهم الطاغية فرعون شتى ألوان الذل والهوان، فكان يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم، وهذه الابتلاءات التى كان يعيشها بنى إسرائيل فى مصر من ذبح وقتل واستضعاف واستعباد. والتى تجسدت فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

هذه الآية الكريمة تبين ابتلاء بنى إسرائيل، وذلك من طغيان فرعون وفساده وعلوه فى الأرض واستكباره وتجبره بغير حق على أهل مصر وخاصة بنى إسرائيل، حيث كان مستغلا منافعهم لنفسه، وكان يستخدمهم فى أخس الصنائع وأردأ الحرف، وذلك لاستضعافهم حتى يقروا له بالعبودية(١).

وقد وصفوا بأنهم مستضعفين لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم(٢)، وفى تفسيره (شيعا) أكد الطبرى: "أن فرعون قسمهم فرقا متناحرة حيث كان يذبح طائفة منهم ويستحيى طائفة، ويعذب طائفة، ويستعبد طائفة"(٣).

---

(١) ابن كثير، الحافظ أبى الفدا إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط٢، (٢٦٥/٣)، مرجع سابق.

(٢) البغوى، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: معالم التنزيل فى التفسير والتأويل، د.ط، (٣٢٦/٤)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٣) الطبرى، أبو جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٣١/٢٠)، ضبط وتخريج: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

وقد قال المفسرون فى سبب تقتيله لبنى إسرائيل: إنه رأى فى منامه أن نارا عظيمة أقبلت من بيت المقدس وجاءت إلى أرض مصر فحرقت القبط، وتركت بنى إسرائيل فسأل المنجمين عن ذلك فقالوا إن مولودا يولد فى بنى إسرائيل يكون ذهاب ملكك على يديه فما أن سمع بذلك حتى هم بتذبيحهم(١).

أما بالنسبة لاستحيائه النساء يقول ابن عاشور: "إن فرعون كان يستبقى حياة الإناث من الأطفال فأطلق عليهم اسم النساء باعتبار المآل إشارة إلى أنه يستحييهن ليصرن نساء فيصلحن إلى ما تصلح له النساء وهو أن يصرن بغايا إذ ليس لهن أزواج فليس لهن حظ فى الرجال إلا قضاء الشهوة وباعتبار هذا المقصد انقلب الاستحياء مفسدة بمنزلة تذبيح الأبناء(٢).

المطلب الثانى

ابتلاء أم موسى (عليه السلام) بإلقاء موسى فى اليم

يأتى بعد يوسف من سلالة يعقوب، موسى (عليه السلام) حيث ذكره الله تاليا ليوسف فى قوله تعالى: ﴿وَيُوسُفَ وَمُوسَى﴾ [الأنعام: ٨٤] فيدخل هو الآخر غمار المحن منذ أن كان صغيرا، فمنذ أول نشأته يجعل فى صندوق ويرمى فى البحر ليتم تقويض بيت الجبروت والطغيان من داخله، ومن حيث كان يحذر فرعون وملأه فيأتى الأمر الكريم إلى أم موسى بإلقائه في البحر وتبتلى هى الأخرى بالصبر على فقد ولدها وعلى يديها، ولكن الثقة بالله العليم والإيمان به ربا وإلها بجعل

(١) الطبرى، أبو جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٣١/٢٠)، مرجع سابق.
القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن، د.ط، (١٦٥/١٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، د.ط، (٦٩/٢٠)، مرجع سابق.

المحن والابتلاء هينة لينة على المؤمنين حيث وعدها الله (ﷻ) برد ابنها إليها وجعله رسولا، وهكذا يلقى موسى فى اليم ليأخذه عدو الله الطاغية – فرعون – ليتربى فى بيته إذا ألقى الله محبته فى قلب زوجة فرعون، وينجو موسى برعاية الله ويرجع إلى أمه فترضعه ويترعرع فى حجر أمه بعد أن رفض المراضع اللاتى تقدمت لرضاعته، وتنجح هى بصبرها وإيمانها القوى وثقتها الخالصة فى وعد الله وذلك ما أخبر به (ﷻ) فى قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: ٧ – ١٣].

تعرض الآيات الكريمة محنة أم موسى وابتلاءها بإلقاء ولدها فى اليم، وذلك التصرف كان نتيجة الخوف عليه من بطش فرعون ووحى الله لها بالطريقة التى سينجو بها من هذا البطش(١).

وقد اختلف العلماء فى كيفية الإيحاء إليها، فقال بعضهم: بأنه كان قولا فى منامها، وقال آخرون: كان إلهاما، وقيل كان ملكا يمثل لها، وقيل:قُذف فى قلبها(٢).

---

(١) البغوى، أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء: معالم التنزيل فى التفسير والتأويل، د.ط، (٣٢٧/٤)، مرجع سابق.

(٢) الطبرى، أبى جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٣١/٢٠)، ضبط وتخريج: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

وقد اختلف العلماء أيضا فى زمن الإيحاء لها فمنهم من قال: إن الوحى كان قبل الولادة، ومنهم من قال: بعد الولادة، وكان مبرر القول الثانى أن الخوف كان عقيب الولادة(١).

وقد اختلف العلماء فى مدة الرضاعة فمنهم من قال: ثلاثة أشهر، وقال بعضهم: أربعة أشهر، وقال آخرون: ثمانية أشهر(٢).

أما الحزن فى قوله تعالى: (ولا تحزنى) أى لا تحزنى على فراقه، ومن العلماء من قال لا تحزنى أن يقتل(٣).

وقد فرق العلماء بين الخوف والحزن حيث يقول ابن عاشور فى الفرق بينهما:

"إن الخوف توقع أمر مكروه، أما الحزن حالة نفسية تنشأ من حادث مكروه للنفس كفوات أمر محبوب، أو بعد الحبيب أو فقده أو نحو ذلك، لذلك نهى الله عن كليهما ووعدها برده إليها"(٤).

وتؤكد الباحثة أن وعد الله حق فما وعدها به تحقق وعلى وجه يليق بها: "فقد روى أن امرأة فرعون أحسنت إلى أم موسى وأعطتها عطاء جزيلا وهى لا تعرف أنها أمه، فقط لأنه وافق ثديها فأجرت عليها وعلى موسى النفقة، والكساوى، والإحسان الجزيل(٥)، فرجعت أم موسى بولدها إلى بيتها راضية مرضية حيث أبدلها الله خوفها أمنا وأوفى بوعده (ﷻ).

المطلب الثالث

(١) القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن، د.ط، (١٦٦/١٣)، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، (١٦٦/١٣).

(٣) الطبرى، أبى جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٣٥/٢٠)، ضبط وتخريج: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، د. ط، (٧٥/٢٠)، مرجع سابق.

(٥) ابن كثير، الحافظ أبى الفدا إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط٢، (٣٦٧/٣)، مرجع سابق.

ابتلاء موسى (عليه السلام) بقتل القبطى وفراره إلى مدين

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]

دخل موسى (عليه السلام) المدينة فى وقت الظهيرة ويقال بين المغرب والعشاء فوجد رجلين يقتتلان أحدهما إسرائيلى والآخر قبطى ويقال كان القبطى خباز فرعون وأخذ الإسرائيلى يحمل حطب المطبخ له[١]، أيضا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدى، دخل موسى (عليه السلام) المدينة ذلك نصف النهار وعن ابن عباس بين العشائين فوجد رجلين يقتتلان أى يتضاربان ويتعاركان هذا من شيعته أىإسرائيلى والآخر قبطى، وذلك أن موسى (عليه السلام) كانت له بديار مصر صولة وذلك بسبب نسبته إلى تبنى فرعون له وتربيته فى بيته وكان بنو إسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاهة وارتفعت رؤوسهم بسبب أنهم أرضعوه وهم أخوانه من الرضاعة، فلما استغاث ذلك الإسرائيلى موسى (عليه السلام) على ذلك القبطى أقبل إليه موسى فوكزه، ولكنه لم يتعمد قتله[٢].

(١) البغوى، أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء: معالم التنزيل فى التفسير والتأويل، د.ط، (٣٣٣/٤)، مرجع سابق.

- القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن، د.ط، (٦٧١/١٣)، مرجع سابق.

(٢) ابن كثير، عماد الدين أبى الفدا: مختصر تفسير ابن كثير، ط٧، (١٧/٣)، تحقيق: محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

فاستغفر موسى (عليه السلام) الله من هذا الذنب ويعاهد الله ويتوب عليه، وألا يكون ظهيرا ومعينا للمجرمين، وتمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] وأصبح موسى (عليه السلام) خائفا يترقب ما سيحدث له من مكروه، وخائفا من مطاردة فرعون وأعوانه له لكى يقتلوه.

وفى اليوم التالى فإذا بالرجل الذى طلب النصرة من موسى (عليه السلام) فنصره وكان السبب فى ارتكاب موسى (عليه السلام) الإثم بالقتل، إذ هو يستنصره مرة أخرى، فقال له موسى (عليه السلام) إنك لغوى مبين، وقد وصفه موسى (عليه السلام) بالغى لأنه كان السبب فى قتل القبطى، وهو يقاتل الآن رجلا آخر، وكأن طابع هذا الرجل الشر والظلم، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٨] رغم ذلك إلا أن موسى (عليه السلام) أراد أن ينصره وعزم على قتل القبطى وذلك فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩].

ويقول ابن كثير: "أن الإسرائيلى لضعفه وذلته اعتقد أن موسى (عليه السلام) يريد قصده أى قتله، فلما سمعه يقول: إنك لغوى مبين قال يدفع عن نفسه: ﴿قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[(١)].

(١) ابن كثير، الحافظ أبى الفدا إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط٢، (٣٧٠/٣)، مرجع سابق.

وبعدما عرف فرعون وشيعته بقتل موسى (عليه السلام) للقبطى تداولوا فيما بينهم الإمساك بموسى (عليه السلام) ثم قتله، فجاء رجل من أقصى المدينة – وقيل إن هذا الرجل مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم فرعون، وقيل هو رجل آخر، وقال لموسى (عليه السلام) ناصحا له بالخروج من مصر حيث علم أن أشراف قوم فرعون يتآمرون على قتله فجاء محذرا وناصحا لموسى (عليه السلام). قال تعالى: ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠] وقد جاء على عجل حتى ذكر أنه دخل من طرق فرعية للوصول إلى موسى (عليه السلام) بأقصى سرعة خشية وصول آل فرعون والإمساك به فخرج موسى (عليه السلام) إلى مدين[١] خائفا على نفسه فزعا يتلفت ويترقب متابعة أحد له وذلك فى قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، ومدين هي قرية شعيب (عليه السلام) ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام وكان موسى لا يعرف الطريق إليها فطلب من الله تعالى أن يهديه إلى سواء السبيل، وأن ينجيه من القوم الظالمين، وقيل إن الله تعالى هيأ له ملكا سدده الطريق [٢].

(١) مدين: مدينة تقع بين وادى القرى والشام اتجاه تبوك بين المدينة والشام، وبها استسقى موسى (عليه السلام) وقيل مدين اسم قبيلة.

انظر: ياقوت الحموى، عبد الله الرومى البغدادى: معجم البلدان، (٧٧/٥ – ٧٨)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، مرجع سابق.

(٢) البغوى، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: معالم التنزيل فى التفسير والتأويل، د.ط، (٣٣٥/٤ – ٣٣٦)، مرجع سابق.

المطلب الرابع

ابتلاء موسى (عليه السلام) فى سبيل الدعوة إلى الله (عند تكليفه بالرسالة)

عندما رجع موسى (عليه السلام) إلى حضن أمه، وكبر وشب وقوى عوده، وقتل القبطى وخرج من مصر خائفا، وتوجه إلى مدين، وأقام بها مدة من الزمن، وتزوج من ابنة الرجل الصالح، واشتاق إلى موطنه فحزم أمتعته راجعا إلى مصر، وفى الطريق أظلمت عليه ليلة شديدة البرد، وضل الطريق ليسوقه الله تعالى للهداية الربانية والدفء الإلهى، ونور الإسلام(١)، فأضاء الله له من نوره قبسا ليأتى به إلى المكان الذى يبشر به بالرسالة وحمل الأمانة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ. . . ﴾ [القصص: ٢٩].

فوصل موسى (عليه السلام) إلى ذلك المكان المبارك، ليبارك الله من وصل إليه، وبدأت أنوار البشرى تصل إلى موسى (عليه السلام) من ربه (سبحانه وتعالى) ووصل النداء الإلهى الذى تشرف به موسى (عليه السلام) لأول مرة، واختص به من دون الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ﴾ [القصص: ٣٠]، وفى موضع آخر قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

قال البيضاوى: "والظاهر أنه عام فى كل من فى تلك الأرض، وفى ذلك الوادى وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات، لكونها مبعث الأنبياء، وكفاتهم أحياء وأمواتا، وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى(عليه السلام)(٢).

---

(١) ياقوت الحموى، عبد الله الرومالبغدادى: معجم البلدان، (٥/٨٨ – ٨٩)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندى، مرجع سابق.

(٢) البيضاوى، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى، (٢/١٧١)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

وعندما فزع موسى (عليه السلام) فرقا من رؤية الثعبان وفر هاربا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا﴾ [القصص: ٣١]. ثم جاءته البشارة بالأمن والطمأنينة، فكيف يخاف من كان فى ضيافة الرحمن، قال تعالى: ﴿يا موسى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِين﴾ [القصص: ٣١].

وبعد أن اطمأن موسى (عليه السلام) وهدأ روعه وسكنت نفسه، جاءته بشارة حمل الرسالة والتكليف بأعباء الأمانة، لاشك أنها أمانة وتكليف ولكنها فى الوقت ابتلاء واختيار وتشريف إلهى، لا يختار الله لذلك إلا من اصطفاه من بين خلقه، فجاء التكليف بقوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القصص: ٣٢].

أراد موسى (عليه السلام) أن يقوم بالمهمة على أكمل وجه، فسأل ربه العون والمدد والمؤازرة من أخيه هارون الأفصح والأطلق لسانا، فقال مخاطبا ربه: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدّقُنِي إِنّي أَخَافُ أَن يُكَذّبُون﴾ [القصص: ٣٤]، كذلك اجتماع موسى وهارون (عليهما السلام) على الخبر فيه تصديق أكثر من خبر الواحد وأسكن للنفس[1]، فبشره رب العالمين بقوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [القصص: ٣٥].

وما خشى منه موسى (عليه السلام) قد وقع فكذبوه ورموه بالسحر وذلك فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا

(١) الطبرى، أبى جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٨٢/٢٠ – ٨٣)، ضبط وتخريج: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.
ابن عطية، أبى محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، (٢٩٩/١١)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصارى وآخرون، مرجع سابق.

﴿الْأَوَّلِينَ﴾ [القصص: ٣٦] فراع موسى (عليه السلام) تكذيبهم له فرد الأمر إلى الله (عز وجل) وهو خير ناصر وخير معين.

كانت هذه الابتلاءات المتوالية على موسى (عليه السلام) من أجل إظهار رسالة الله رب العالمين وتوحيده وكسر جبروت الظلم والطغيان، وإنقاذ البشرية من ظلمات الشرك، فأسند الله هذا الأمر لموسى (عليه السلام) فهو من الرسل أولى العزم والقوة.

المطلب الخامس
ابتلاء قوم قارون من خلال استعلائه عليهم بالمال والجاه والسلطان

نقف أمام شخصية تاريخية حدد القرآن اسمها، إنه قارون صاحب الكنوز الكثيرة الضخمة، وقد عرضت سورة القصص قصته فى الآيات التالية: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ

الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٧٦ – ٨٣].

وكان قارون إسرائيليا من قوم موسى، وقيل هو ابن عمه، وقيل بل كان عما لموسى، وقيل كان ابن خالته(١)، وهو خلاف لا يترتب عليه أى أثر، فالحقيقة المجمع عليها أنه كان إسرائيليا، وأنه كان بينه وبين موسى قرابة ظاهرة.

وثمة حقائق أخرى يجمع عليها المفسرون بالنظر إلى ملامحه الشخصية والخلقية والنفسية، ومنها(٢):

١- أنه كان حسن الصورة إلى أبعد حد، حتى أنه كان يلقب بالمنور.

٢- كان له من الكنوز والأموال ما لا يحصى ولا يعد.

٣- أنه كان أقرأ بنى إسرائيل للتوراة وأعلمهم بها.

٤- أنه كان باغيا ظالما لبنى إسرائيل، فظلمهم ظلما فاحشا واستخف بهم، لكثرة ماله وولده، وخرج عن طاعة موسى، وكفر بالله، ونسب ما أتاه الله من المال إلى نفسه لعلمه وحيلته.

٥- أنه كان متكبرا، جاحدا بأنعم الله عليه.

---

(١) الزمخشرى، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، (١٩٥/٣)، مرجع سابق.

القرطبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن (التفسير القرطبى)، (٥٠٣٣/٦)، مرجع سابق.

(٢) الشوكانى، محمد بن على: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، (٢٢٩/٤)، تحقيق: أحمد عبد السلام، المكتبة العصرية، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ.

٦- أنه كان عنيدا، لا يصغى لنصح الآخرين العقلاء، بل يتشبث برأيه على خطئه.

٧- أنه كان مظهريا مقبلا على الدنيا وذخارفها وبهرجها لا يؤمن بالبعث والحساب والآخرة.

ومن حرصه علي هذه المظهرية خروجه على قومه فى زينته، وقد تعددت أقوال المفسرين فى وصف هذه الزينة، فقيل: كان قد خرج فى سبعين ألفا من تبعه عليهم المعصفرات، وكان أول من صبغ له الثياب المعصفرة.

قال السدى: مع ألف جوار بيض، على بغال بيض بسروج من ذهب على قطف الأرجوان.

وقال قتادة: خرج على أربعة آلاف دابة عليها ثياب حمر، منها ألف بغل أبيض عليها قطف حمر.

وقال الكلبى: خرج فى ثوب أخضر كان الله قد أنزله على موسى من الجنة، فسرقه منه قارون(١).

ولم يقم دليل واحد على صحة هذه التقديرات أو بعضها، لذا كان الفخر الرازى على حق فى قوله: "أما قوله فخرج على قومه فى زينته فيدل على انه خرج بأظهر زينة وأكملها، وليس فى القرآن إلا هذا القدر(٢). فالأولى ترك هذه التقديرات لأنها متعارضة(٣)، **وترى الباحثة** أنه خرج فى زينة مسرفة، غير معهودة

(١) القرطبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، (٥٠٢٦/٦)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردونى، مرجع سابق.

(٢) الفخر الرازى، محمد الرازى فخر الدين بن ضياء الدين عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (٤٥٩/٦)، مرجع سابق.

(٣) الفخر الرازى، محمد الرازى فخر الدين بن ضياء الدين عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (٤٥٩/٦).

فى عصره، كان وراءها الغرور، والتكبر، والفخر، والمباهاة، وكل أولئك انبهر به كثير من شاهدوه.

ويأتى أمر الله عقاباً قاصماً مشهوداً، تبتلع الأرض قارون وداره وما ملك من قوة ومال، فما من أحد يستطيع إنقاذه، ولا يستطيع أن ينقذ هو نفسه مما حل به.

وهوت معه الفتنة الطاغية التى جرفت بعض الناس، وردت الضربة القاضية إلى الله، وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال وكان هذا المشهد الأخير، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

وقفوا يحمدون الله أن لم يستجب لهم ما تمنوه بالأمس، ولم يؤتهم ما أوتى قارون، وهم يرون المصير البائس الذى انتهى إليه بين يوم وليلة، وصحوا إلى أن الثراء ليس آية على رضى الله، فهو يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه لأسباب أخرى غير الرضى والغضب، ولو كان دليل رضاه ما أخذ قارون هذا الأخذ الشديد العنيف، إنما هو الابتلاء الذى قد يعقبه البلاء، وعلموا أن الكافرين لا يفلحون، وقارون لم يجهر بكلمة الكفر ولكن اغتراره بالمال ونسبته إلى ما عنده من العلم جعلهم يسلكونه فى عداد الكافرين، ويرون فى نوع هلاكه أنه هلاك الكافرين(١).

وإذا كان هذا هو جزاء قارون وأمثاله ممن علوا فى الأرض وجحدوا أنعم الله، وإذا كان مثواهم النار وبئس المصير، فهناك الصورة المقابلة التى تفتح إلى التقوى والعمل الصالح لمن يريد أحسن العاقبة.

(١) الفخر الرازى، محمد الرازى فخر الدين بن ضياء الدين عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (٤٥٥/٦)، المرجع السابق.

لقد عرضت سورة القصص قصة طاغيتين هما: فرعون وقارون، يجمع بينهما الكفر والعصيان، والاستكبار، ويجمع بينهما وحدة النهاية، **فالأول** ابتلعه اليم هو وجنوده: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]، **وأما الثانى** ومن معه فقد غيبتهم الأرض: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

وترى الباحثة أن صورة قارون وعاقبته إنما سبقت ليعتبر بها المجتمعات البشرية على مدار العصور والأجيال، وليزداد المؤمنون بالله إيمانا ويقينا وثباتا، ويتمسكوا بدينهم دين الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وعن أبى كبشة عمرو بن سعد الأنصارى (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: "... وأحدثكم حديثا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما، ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية، يقول لو أن لى مالا، لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم، ولا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء"(١).

فمن سياق الحديث، يظهر أن قارون كان من الصنف الثالث، الذى قيل عنه: "أخبث المنازل" والذين تمنوا مثله من الصنف الرابع، ولكن الله استدركهم برحمته، ومن شدة إعجابهم بما شاهدوه من الزينة قالوا: ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]،

(١) الترمذى، الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سوة: سنن الترمذى، (٥٦٢/٤)، حديث (٢٣٢٥)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء مثل الدنيا، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

أي لذو نصيب من الدنيا[1]، عند ذلك تدخل أهل الصلاح والنصح والإرشاد، وقاموا بواجبهم المنوط بهم فقالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.

المطلب السادس

ابتلاء موسى (عليه السلام) بالفقر والجوع

عندما خرج موسى (عليه السلام) من مصر متجها إلى مدين خرج خائفا فزعا شديدا لا يعرف الطريق ولا يملك أي شئ لا زاد ولا مال، لم يفكر فى زاد سفر ولا فى راحلة يركب عليها، فخرج ماشيا على رجليه مسيرة ثماني ليالى متواصلة حتى لحق به الجهد والعناء والتعب والفقر والجوع حتى وصل إلى مدين[2].

فكان هذا الابتلاء بداية النصر والتمكين حيث قاد موسى (عليه السلام) إلى مرحلة جديدة فى حياته، حماه الله وحفظه من القوم الظالمين، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣] عندما وصل موسى (عليه السلام) إلى مدين ورد بئرا كان جماعة من الناس مجتمعين عليه يسقون مواشيهم وقد رأى بعيدا عن هذه الجماعة امرأتين تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهم البئر فتسقيا أغنامهما، فقال موسى (عليه السلام) لهما سائلا ما شأنكما

---

(١) الطبرى،أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى)، (١٤١/٢٠)، مرجع سابق.

(٢) البغوى، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: معالم التنزيل فى التفسير والتأويل (٣٣٦/٤) مرجع سابق.

- الطبرى، أبى جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٦٩/٢٠)، ضبط وتوثيق: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

لا تسقيان مواشيكما مع الناس تنتظران أن تسقيان من فضول ما في صياصى[١] الرعاء، فقالتا: نحن لا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يمشى ذلك من نفسه ولا يسقى ماشيته فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا فأخذت موسى (عليه السلام) الرحمة والرأفة بهما فتقدم ليسقى لهما وبعد أن فرغ من السقاية لهما تولى إلى ظل شجرة ذكر أنها من شجر الطلح[٢]، تدعى سمرة[٣] فقال مناجيا الله (عز وجل) قائلا: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٍ﴾ [القصص: ٢٤][٤].

يقول ابن عطية: "أن الخير الذى طلب موسى (عليه السلام) هو الطعام لما أصابه من الشدة والجوع، فقد روى عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: كان قد بلغ من الجوع وأخضر لونه من أكل البقل وضعف حتى لصق بطنه بظهره، ورؤيت خضرة البقل فى بطنه، وأنه لأكرم الخلق يومئذ على الله (عز وجل)[٥].

---

(١) صياصى: الشاربة عند الحوض. **انظر:** ابن منظور، لسان العرب، (٢٥٣٧/٣)، مرجع سابق.

(٢) الطلح: شجرة حجازية جنائها كجناة السمرة ولها شوق، ومنابتها بطون الأودية، ولها ظل يستظل الناس بعد الإبل، ورقها قليل.

انظر: ابن منظور: لسان العرب، (٢٦٨٦/٣)، مرجع سابق.

(٣) سمرة: بضم الميم من شجر الطلح، وقيل من الشجر صفار الورق، فصار الشوك. **انظر:** ابن منظور: لسان العرب، (٢٠٩٢/٣)، مرجع سابق.

(٤) الطبرى، أبى جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٢٠/) ضبط وتوثيق: صدقى جميل العطار مرجع سابق.

(٥) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢٨٧/١١)، تحقيق: عبد بن إبراهيم الأنصارى، السيد عبد العال السيد، مرجع سابق

فقد بلغت قمة الجوع والفقر ما بلغت من نبى الله موسى (عليه السلام) وهو لا يعلم المحنة وهذا الابتلاء ستكون نهايته الخير الوفير من عند الله (سبحانه وتعالى)، وقد كانت البشرى والفرج القريب من هذا الابتلاء لموسى (عليه السلام) فى مقدم إحدى المرأتين إليه جاءته تمشى على استحياء ومستترة فقد وضعت كم درعها على وجهها مبلغة عن أبيها دعوته إليه كى يأخذ أجر ما سقى لهما وذلك فى قوله تعالى: ﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥] فلما دخل موسى (عليه السلام) على أبيها شعيب (عليه السلام) على أرجح الروايات إذ بالعشاء مهيأ فطلب شعيب (عليه السلام) من موسى (عليه السلام) بتناول الطعام وقص عليه قصته مع فرعون وقومه من القبط فطمأنه وذلك أن مدين لم تكن فى سلطان فرعون، وقال له قد نجوت من القوم الظالمين، وذلك فى قوله تعالى: ﴿... فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥][1] بهذا الدعاء فرج الله تعالى كرب موسى (عليه السلام) واستجاب دعاءه، واستبدل خوفه أمنا وأذهب عنه محنة الفقر والجوع، فقد اتفق شعيب وموسى (عليهما السلام) أن يزوج موسى (عليه السلام) إحدى ابنتيه مقابل إجارته ثمان حجج وإن أتم عشرا فمن رغبته أى هو ملزم بالإجارة ثمانى حجج حسب الاتفاق وتمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن

(١) الطبرى، أبو جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٦٧/٢)، ضبط وتوثيق: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِين﴾ [القصص: ٢٧][1]. وهكذا في بساطة وصراحة، عرض الرجل إحدى ابنتيه.. عرضها في غير التواء، فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه، ويعرض بناء أسرة، وإقامة بيتاً وليس في ما يخجل، ولا يدعو إلى الحرج والتردد، وهكذا يتم الأمر على ما يرضى الله تعالى.

وبذلك مكن الله لموسى (عليه السلام) فى مدين ليعده الله (عز وجل) إلى المهمة العظيمة التى أوكلت إليه وهى تلقى الرسالة والدعوة إلى دين الله ومواجهة الشرك والطغاة، **وترى الباحثة** أن الأنبياء لم يبلغوا هذه الدرجة من الأفضلية على سائر البشر إلا بما صبروا وتحملوا فكانوا أشد الناس ابتلاء ليكونوا قدوة للبشرية جميعا.

المطلب السابع

ابتلاء النبى (ﷺ) بتكذيبه من قبل المشركين

إن عناد الكفار بحملهم على شتى أنواع الكفر، والضلال، والتكذيب، وظهر ذلك جليا في مشركى مكة حين جاءهم الحق من ربهم الذى لا مرية فيه مؤيدا لصدق رسول الله (ﷺ)، فقد كان يتلو عليهم رسول الله (ﷺ) من أنباء الغيب وكأنه شاهد عيان رحمة بقومه، وأن يصيبهم العذاب بما هم فيه من جاهلية الشرك والمعصية موضحا مآل الأمم السابقة التى أنكرت الإيمان بالله تعالى وما آلت إليه من سخط الله وغضبه عليهم، وقد تمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينوَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينوَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن

(١) الطبرى، أبو جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٧٢/٢٠)، ضبط وتوثيق: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٤ – ٤٧] فإذا جاء الرسل مؤيدين بالحجة الدالة على صدقهم لم يعد أمام الناس إلا الإيمان بالله (ﷻ).

جاءت الآيات لتثبت أن هذه الأخبار التى يقصها محمد (ﷺ) ليست من عنده، ولم يتعلمها من أحد من الخلق، وإنما هى وحى من الله تعالى لأنها من الدقة والصدق والحقيقة، بما لم يقدر على مثله إلا المشاهد لها، أو أخذ ما كتب لم تمتد إليها يد العبث والتغيير.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤] فلم تكن يا محمد فى المكان الذى أوحينا فيه لموسى (عليه السلام) (وما كنت من الشاهدين) ولم تكن من جملة المشاهدين لذلك الوحى، وهم النقباء الذين ذهبوا بعد ذلك مع موسى (عليه السلام) لكلام الله (ﷻ) وسماع وحيه، عندما كلفناه وألزمناه بالرسالة والتشريع[١].

والفائدة من إعادة القول ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ بعد أن نفى وجوده هناك بقوله﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ لأن المرء قد يكون موفودا فى المكان، ولا يشاهد ما يجرى حوله ولا يراه، فهذا من باب نفى العموم بعد نفى الخصوص[٢]، وقد يكون قصد بالأمر خبر محمد (ﷺ) وذكرناك به خير تذكير[١].

---

(١) الفخر الرازى، محمد الرازى فخر الدين بن ضياء الدين عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٢ (٢٥٦/٢٥)، مرجع سابق.

(٢) أبو حيان الأندلسى، محمد بن يوسف: البحر المحيط، (١١٦/٧)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فأنت يا محمد لم تحضر هذه الغيوب، التى تخبر بها، ولكن جاءتك بالوحى، وكان الواجب أن يسارع إلى الإيمان بك، ولكن تطاول وبعد الزمن على الأمم، التى أنشأناها، فضربت علوم القوم، وإستحكمت جهالاتهم وضلالتهم(٢).

وعندما طال الأمد ببنى إسرائيل وابتعد الزمان بهم عن أنبيائهم، قست قلوبهم، كما أخبر القرآن بذلك ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وقد كان الله أخذ العهود على موسى (عليه السلام) وقومه بالإيمان برسالة محمد (ﷺ) فلما طال عليهم الزمان وبعدت القرون نسوا عهودهم وتركوا الوفاء بها(٣)، وها هو عم رسول الله (ﷺ) أبو طالب الذى كان الحصن الحصين للدعوة الذى قال فيه رسول الله (ﷺ): "ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب"(٤)، فلم يكن كذلك إلا لمعرفته أنه الحق ورغم ذلك يتوفى على الشرك بسبب هذه النعرات الباطلة التى تملكت عليه فى احتضاره، ونستدل من ذلك بما روى عن سعيد بن

---

(١) القرطبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، ط٢، (٢٠٣/١٣)، راجعه وعلق عليه: محمد إبراهيم الحفناوى، مرجع سابق.

(٢) ابن عطية الأندلسى، أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، (١٨٩/٤)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٣) القرطبى، أبو عبد الله بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن، ط٢، (٣٠٢/١٣)، مرجع سابق.

(٤) ابن الأثير، عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم: الكامل فى التاريخ، (٩٠/٢ – ٩١)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (ﷺ) فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، قال رسول الله (ﷺ) لأبى طالب: "يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله (ﷺ) يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأمن أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله (ﷺ): أما والله لأستغفر نلك ما لم أنه عنك، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣][(١)].

وأنزل الله تعالى فى أبى طالب قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وعن العباس بن عبد المطلب أنه قال: (يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشئ فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال نعم، هو فى ضحضاح من نار لولا أنا لكان من الدرك الأسفل من النار)[(٢)]. فرسول الله (ﷺ) أحب عمه أبا طالب حبا شديدا وتمنى موته على الإسلام، ولكن الله تعالى علم أن أبا طالب أحبه بعصبية

(١) البخارى، عبد الله بن محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى، (١٩٣٠/٣)، ح (٤٧٧٥)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة القصص، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢) البخارى، عبد الله بن محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى، (١١٩٥/٤)، ح (١٢٠٨)، ك: الأدب، باب: كنية الشرك، مرجع سابق.

القرابة وحبا لأبيه لا حبا للعقيدة فلم يقدر له الهداية، وجعل الله الهداية بإرادته – تعالى – وما على الرسول إلا البلاغ.

وتتمادى قريش فى عنادها لرسول الله (ﷺ) ويطلبون من رسول الله أن يأتى بمعجزات مادية كما أوتى موسى (عليه السلام) من نزول التوراة جملة واحدة ومعجزة العصا ويد موسى (عليه السلام) وشق البحر، وتمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُون﴾ [القصص: ٤٨] فيحاجهم الله تعالى فيقول: (.... أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل...) وذلك أن خبر محمد (ﷺ) وصفته جاء فى التوراة فاستفتى مشركى مكة نفر من أهل الكتاب فيما جاءهم به أفتوهم بما يفيد أنه الحق، فطابق القرآن التوراة فى خبر نبينا محمد (ﷺ)، ونبأ موسى (عليه السلام)، فادعوا لأجل هذا التطابق أنهما سحران، وقالوا كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ . . . .قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُون﴾ [القصص:٤٨] أى أن موسى (عليه السلام) ومحمد (ﷺ) تعاونا على السحر فهما ساحران، وما جاءوا به سحر أى القرآن والتوراة على قولهم فكذبوا بمحمد (ﷺ) وموسى (عليه السلام)، وبما جاءوا به[1].

(١) ابن عطية الأندلسى، أبى محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣٠٧/١١ – ٣٠٨)، تحقيق: عبد الشافى محمد، مرجع سابق.

المبحث الثالث

الابتلاء كتجربة تربوية

لما كان كتاب الله (ﷻ) – هاديا لأمة محمد (ﷺ) ومربيا، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] فإننا ننظر إلى الابتلاء الذى حدثنا عنه القرآن الكريم خاصة سورة القصص على أنه مدرسة تربوية متكاملة، قد احتوت كامل أبعاد مثلث عملية التربية، وقاية وإعدادا، وبناء وتوجيها، ومحاسبة وتقويما، وتناولت الباحثة هذا المبحث فى خمسة مطالب:

المطلب الأول

حكمة الله (ﷻ) فى الابتلاء:

أولا: حكمة الابتلاء بالضراء.

ثانيا: حكمة الابتلاء بالسراء.

المطلب الثانى: الابتلاء للوقاية والإعداد:

أولا: موسى (عليه السلام) ونجاح الاختبار.

ثانيا: بنى إسرائيل وفشل الاختبار.

ثالثا: بشارة أم موسى (عليه السلام) ونجاح الاختبار.

رابعا: هلاك فرعون وأتباعه وفشل الاختبار.

خامسا: هلاك قارون وقومه وفشل الاختبار.

المطلب الثالث: الابتلاء للبناء والتوجيه

المطلب الرابع: الابتلاء بالمحاسبة والتقويم.

المطلب الخامس: أساليب القرآن الكريم فى التربية بالابتلاء.

أولا: أسلوب القصة.

ثانيا: أسلوب الموعظة والمجادلة بالتى هى أحسن.

ثالثا: أسلوب التربية بالأحداث (التربية بالخبرة).

رابعا: أسلوب الترهيب والترغيب.

المطلب الأول
حكمة الله (ﷻ) فى الابتلاء

أولا: حكمة الابتلاء بالضراء

(أ) تقوية الإيمان بالقضاء والقدر:

إن آيات الله وعبره من الأمم السابقة إنما يستفيد منها ويستنير بها المؤمنون، والله يسوق القصص لأجلهم كما قال تعالى فى هذه القصة: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣] ومنها أن الله تعالى إذا أراد شيئا هيأ أسبابه وأتى به شيئا فشيئا بالتدريج لا دفعة واحدة، وأن العبد وإن عرف القضاء والقدر حق وأن وعد الله نافذ لابد منه، فإنه لا يهمل فعل الأسباب التى تنفع. فإن الأسباب والسعى فيها من قدر الله، فإن الله قد وعد أم موسى (عليها السلام) أن يرده عليها، ومع ذلك التقطه آل فرعون فأخذت الأسباب، وأرسلت أخته لتقصه وتعمل الأسباب المناسبة لتلك الحالة.

فالله (ﷻ) أعطاك عقلا تتمكن به من العمل، فلذلك إذا سُلب عقل الإنسان لم يعاقب على على معصيته، ولا ترك الواجبات وإذا سُلب قدرته على الواجب لم يؤخذ بتركه، إن الاحتجاج بالقدر على معصية الله – تعالى – وترك الواجبات

حجة دامغة باطلة"[1]، أبطلها الله تعالى فى كتابه، فقال تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥] .

(ب) الابتلاء وسيلة للتمكين فى الأرض:

قيل للشافعى (رحمه الله): يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل أن يُمكن أو يبتلى؟ (أى بالضراء)، قال الشافعى: لا يُمكن حتى يُبتلى.

فإن الله – تعالى – ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ﷺ) – صلوات الله عليهم أجمعين – فلما صبروا (على الابتلاء) مكنهم[2]، وبذلك مكن الله – تعالى – لموسى (عليه السلام) فى مدين بالزوجة الصالحة، والبلدة الآمنة، والحرفة التى يسترزق منها، وينفق على نفسه وعوّضه بالأهل الذين وجد بينهم الاطمئنان والإنس والأمان بعد التشرد والجوع، والفقر ليعده الله – تعالى – لمرحلة تكليفه بالدعوة واستعداده لمواجهة فرعون ومن معه.

(جـ) الردع والتحذير من الغرور والاستعلاء والشرك والاستكبار:

إن العقوبة العاجلة على ما اقترفه الإنسان أو الجماعة أو الأمة من معاصى تقضى تقضى حكمة المولى (عز وجل) أن تعجل عقوبتها حيث أن فيها ردعا وتحذيرا وعبرة لهم ولغيرهم من الأفراد وقد أشارت إلى ذلك الآية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩] وقال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ

(١) ابن عثيمين، محمد بن صالح: الضياء اللامع من الخطب والجوامع، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٣٤٩.

(٢) ابن قيم الجوزى، محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد: الفوائد، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

﴿يُرْجَعُون﴾ [القصص: ٣٩]، فاستحق بهذا الكبر، والاستعلاء، والشرك، على الله، وعلى خلقه وادعاؤه الألوهية عذابا وسخطا من الله (ﷻ) فجمع الله فرعون وجنوده من القبط فأطبق عليهم البحر فأغرقهم جميعا فى صبيحة يوم واحد"[1]. وتمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

وترى الباحثة أن التربية بالضراء مطلباً ملحاً حين تعجز أنماط التربية الأخرى، فيحثنا القرآن الكريم، كيف أفضى ابتلاء جماعة من بنى إسرائيل، وعدم استجابتهم للابتلاء إلى ذلك العقاب البئيس: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَوَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونفَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونفَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٣ – ١٦٦].

ثانيا: حكمة الابتلاء بالسراء

تؤكد الباحثة أنه لا نخفى حكمة الله (ﷻ) فى ابتلاء شخص ما بالسراء حيث يعقب ذلك شكر العبد لربه فتحمده والثناء عليه بما هو أهله، وفى هذه الحالة

(١) الزحيلى، وهبة: التفسير الوسيط، (١٩٢٠/٣)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

يفيض من الله (ﷻ) على عبده مزيدا من النعمة مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد﴾ [إبراهيم: ٧].

ومما لا شك فيه أن نتيجة هذا الشكر تعود على العبد نفسه، أما إذا كانت الأخرى وقابل العبد ما يناله من الخير أو السراء بالجحود والنكران، فإنه يؤدى إلى الطغيان والاستعلاء فى الأرض وما يعقب ذلك من عتو وفساد، وقد ضرب القرآن الكريم مثال لذلك في قصة قارون.

قصة ابتلاء قارون:

لقد كان قارون من قوم موسى (عليه السلام) وقد امتحنه الله – تعالى – بوفرة الثروة فأصابه الغرور وزعم أن ما ابتلى به من خير هو ثمرة علمه وخبراته الاقتصادية، ثم راح ليستغل ثروته ومنزلته لنشر الفساد ودعم الظلم والفتن وفى الترف والزينة وكان عاقبته أن خسف الله – تعالى – به وبداره الأرض[1]، فالله (ﷻ) يبتلى الإنسان بالسراء مثلما يبتليه بالضراء، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ. . . .﴾ [القصص: ٧٦] منكرا على الإنسان فى اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه الرزق ليفسده فى ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكراما له، وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان..

فالإمداد بالمال والبنين لا يعنى هنا دلالة خير وإكرام للإنسان، بل هو ابتلاء كما تقدم، فالإنسان إذا ما امتحنه بالنعم والغنى (فأكرمه) بالمال وأفضل عليه،

(١) الكيلانى، ماجد عرسان: فلسفة التربية الإسلامية، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص ١٦٧.

(ونعمة) بما أوسع عليه من فضله" فيقول ربى أكرمنى" فيفرح بذلك، ويقول ربى أكرمنى بهذه الكرامة[١].

المطلب الثانى
الابتلاء للوقاية والإعداد

إن القيام بأى عمل مهما كان نوعه، ومهما كان صغيرا يحتاج إلى إعداد وتأهيل، فكيف بمن يراد له حمل أمانة الله فى الأرض؟ فكان إعداد الله تعالى تربية بالابتلاء لرسله وأنبيائه والصالحين من بعدهم، ممن أوكل إليهم مهمة القيام بأمر دينه ونشر دعوته.

عن مصعب بن سعد عن أبيه، قلت يا رسول الله: أى الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه" [٢].

وقد ذكر القرآن الكريم عددا من تجارب الابتلاء والإعداد، فكان منها الناجح، ومنها من فشل فى الاختبار، وسنكتفى ببعض النماذج:

أولا: موسى (عليه السلام) ونجاح الاختبار:

لقد تعرض موسى (عليه السلام) لكثير من الابتلاءات، إذ تحدث مع فرعون وقومه، وهاجر من بلده، وسيرته (عليه السلام) فى الابتلاء طويلة، فقد حفظته العناية الإلهية وهو فى بطن أمه إلى أن كبر، واشتد عوده، ونصره بالقوة التى تفتك بالطغاة

(١) الطبرى، أبى جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (تفسير الطبرى)، (٥٧٢/١٢)، ضبط وتخريج: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

(٢) الترمذى، محمد بن عسى بن سورة بن موسى الضحاك: سنن الترمذى، (١٨٠/٤) حديث رقم (٢٣٩٨)، مرجع سابق.

المتجبرين الذين عاثوا فى الأرض فساداً او استكباراً، وقد تمثلت هذه العناية فى عدة نقاط:

١- حفظه من القتل عند ولادته، وتمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، فمشيئة الله (ﷻ) وحفظه لم يعلم أحد من القوابل بحمل أم موسى (عليه السلام) طول فترة حملها(١).

٢- عدم افتضاح أمر أم موسى (عليه السلام) وابنها، وذلك أن الله ربط على قلب أم موسى وثبتها وألهمها الصبر والسلوان فلم يكشف أمرها ولا أمر وليدها وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠](٢).

٣- العناية الإلهية لموسى (عليه السلام) وهو فى اليم، وتمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

٤- العناية الإلهية له بعد خروجه من اليم ووقوعه فى يد فرعون، حيث هيأ الله تعالى امرأة فرعون لتكتمل مشيئة الله فى حفظ موسى (عليه السلام) حيث إن الله قذف محبة موسى (عليه السلام) فى قلبها فانشرح صدرها له حينما نظرت إليه، فطلبت من زوجها أن يبقيه ولا يقتله حتى يكون قرة عين لهما فوافق فرعون

(١) ابن كثير، الحافظ أبى الفدا إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (٣/٣٦٦)، تحقيق: عبد القادر يعرب، مرجع سابق.

(٢) الزحيلى، وهبه: التفسير الوسيط، (٣/١٩٥٠)، مرجع سابق.

على طلبها وتمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩].

٥- **الارتباط بالدعاء:** الدعاء سلاح المؤمن الذى لا ينبغى أن لا يتركه فى أى حال من أحواله فى السراء والضراء فى الصبح والمساء، وهذا كان دأب الأنبياء وأحببنا أن نبين فى هذا المطلب كيف كان موسى (عليه السلام) مرتبطا بالدعاء فى سائر مراحل دعوته لفرعون لنبين أهمية الدعاء فى الدعوة إلى الله تعالى، لقد بدأ موسى (عليه السلام) دعوته منذ بداية التكليف، فعند أول مواجهة مع الظالمين، وبعد أن وكز موسى (عليه السلام) القبطى فقضى عليه، وتمت ملاحقته، من قبل فرعون وجنوده، وأصبح فى المدينة خائفا يترقب، عند ذلك قال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٢١]. فهو يطلب الحماية من الله (سبحانه وتعالى)، وأن ينجيه منهم، ولقد استجاب الله لدعائه.

٦- **الصبر وعدم الاستعجال:** الصبر عامل مهم جدا من عوامل النجاح وهو خلق حميد امتدح الله به أبنيائه بل جعله (سبحانه وتعالى) سببا من أسباب الإمامة فى الدين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَوَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٣ – ٢٤]. وكل هذه اخبار عن محن عظيمة انجلت بمنح جليلة، يجب على العاقل تأملها ليعرف كنه تفضل الله (عز وجل) بكشف شدائده وإغاثته لمن تمسك بطاعته وأخلص في خشيته.

ثانيا: هلاك فرعون وأتباعه

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَوَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَوَأُتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٠ – ٤٢].

يخبر الله تعالى أنهم لما استكبروا عن اتباع الحق وادعى ملكهم الباطل ووافقوه عليه، وأطاعوه فيه، اشتد غضب الله تعالى الذى لا يغالب ولا يمانع عليهم، فانتقم منهم أشد الانتقام، وأغرقه هو وجنوده فى اليم فلم يفلت منهم أحدا، ولم يبق منهم ديار، بل كان قد غرق فدخل النار، واتبعوا فى هذه الدار لعنة بين العالمين، ويوم القيامة بئس الرفد ويوم القيامة هم من المقبوحين(١).

وقيل عندما تمادى قبط مصر على كفرهم وعنادهم ومتابعة لملكهم فرعون ومخالفة لنبى الله محمد (ﷺ) ورسوله موسى (عليه السلام)، وأقام الله تعالى على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة، وأراهم من خوارق العادات، فأبهر الأبصار وحير العقول وهم مع ذلك لا يرعون ولا ينتهون ولا يرجعون ولم يؤمن منهم إلا القليل(٢)، قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩]. فالاستكبار أشد من الكبر، أى تكبر تكبرا شديدا إذ طمع فى

(١) ابن كثير، الحافظ أبى الفدا إسماعيل بن عمر: قصص الأنبياء، (المجلد الرابع، دار توليس، بيروت، لبنان، د.ت)، ص ٢٨٦.

– النيسابورى، ابن إسحاق: قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، ط٦، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بيروت، ص ٢٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٦.

الوصول إلى الرب العظيم، وجنوده: أى أتباعه فاستكباره هو الأصل واستكبار جنوده تبع لاستكباره لأنهم يتبعونه ويتلقون ما يمليه عليهم من العقائد(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠] أى ظنوا أنهم لا يرجعون إلينا فعجلنا بهلاكهم فإن ذلك من الرجوع إلى الله لأنه رجوع إلى حكمه وعابه ويعقبه رجوع أرواحهم إلى عقابه.

وقد نجى الله تعالى بدن فرعون حتى يكون عبرة لمن لم يعتبر إلى يوم الدين وذلك فى قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢] ومازالت جثة فرعون محفوظة فى المتحف المصرى القومى بمصر إلى يومنا هذا دون أن تبتلى، تلك سنن الله تعالى فى الذين خلوا من قبل يهلكهم الله بظلمهم كى يكونوا عبرة للناس وموعظة فى الدنيا والآخرة، واستحقوا بذلك لعنة الأنبياء والمؤمنين عليهم، وكذلك استحقوا الخزى فى أقوالهم وأفعالهم حتى طردوا من رحمة الله تعالى وتمثل ذلك فى قوله تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١ – ٤٢].

وتؤكد الباحثة أن الله تعالى يورث أرضه لعبادة المؤمنين فمهما علا الطغيان والاستبداد فإن فرج الله تعالى قريب وهو ناصر المستضعفين.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، (١٠/١٢٧)، مرجع سابق.

ثالثا: هلاك قارون وقومه وفشل الاختبار

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينوَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينقَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٦ – ٧٨].

تذكر لنا الآيات موقف قارون من دعوة الله – تعالى – متمثلا ذلك فى موقعه من قوم بنى إسرائيل **(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى)** وعدل عن أن يقال: كان من بنى إسرائيل لما في إضافة قوم إلى موسى (عليه السلام) من الإيماء إلى أن لقارون اتصالاً خاصاً بموسى فهو اتصال القرابة[١]، ومع ذلك جاء وصفه **(فَبَغَى عَلَيْهِمْ)** أى خرج عن حد القانون، فى تعديه على قومه، وإفساده فيهم وظلمه إياهم، قيل كان عاملا لفرعون على بنى إسرائيل، فكان يبغى عليهم ويظلمهم[٢].

وقال بعضهم: كان بغيه عليهم بكثرة ماله، وقال آخرون: بزيادة شبر في ثوبه[٣].

تقول الباحثة هنا أن الذى يهمنا كمسلمين من ذلك، أن التجاوز قد وقع منه بغض النظر عن أسبابه وصورته **﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾**، وقد سميت أمواله كنوزاً، إذ

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، (١٩٧٦/٢٠)، مرجع سابق.

(٢) البغوى، أبى محمد الحسن بن مسعود الفراء: معالم التنزيل فى التفسير والتأويل، (٣٥٦/٤)، مرجع سابق.

(٣) الطبرى، أبى جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن (١٢٨/٢٠)، ضبط وتخريج: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

كان ممتنعاً من دفع زكاة أمواله، وهذه أول عداوة له مع موسى (عليه السلام) إذ جحد حق الله تعالى فى ماله[1]، هذه الكنوز والأموال كانت من الكثرة حتى قيل فيها: **(مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)** فقد عبر عن ثقلها حتى إن المجموعة من الرجال الأقوياء ليعجزوا عن حملها ونقلها، أو تحتاج مفاتيحها للعصبة من الرجال للقيام بها[2].

وقال تعالى: (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) قيل: الناصح هنا هو موسى (عليه السلام)[3]، لما بينهما من قرابة وبسبب ما حدث من قارون من جحد للزكاة وحسد لموسى وهارون (عليه السلام)[4]، وقيل: هم الصالحون من قومه[5].

وترى الباحثة أن الأمر هنا يشمل موسى والصالحين من قومه، لأن موسى(عليه السلام) هو أولى من يقوم بالنصح والإرشاد والآخرون له تبع فى ذلك.

---

(١) الطبرى، أبى جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (١٣٠/٢٠)، ضبط وتخريج: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

(٢) الحنبلى، أبى حفص عمر بن على بن عادل: اللباب فى علوم الكتاب، (٢٨٨/١٥)، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣) الرازى، محمد الرازى فخر الدين ابن ضياء الدين عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٢، (١٦/٢٥)، مرجع سابق.

(٤) أبى حيان الأندلسى، محمد بن يوسف: البحر المحيط (١١٥/٧)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون مرجع سابق

(٥) الطبرى، أبى جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (تفسير الطبرى)، (٧٠/٢٠)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

فتقدموا له بالنصح بعدة أمور منها: نهوه أن يكون من المرحين الأثرين[1]، أو الذين يبطرون نعمة الله تعالى ولا يشكرونه على إنعامه[2]. قال تعالى: (إن الله لا يحب الفرحين) وهذا تعليل لنهيهم إياه عن البطر.

وتستنتج الباحثة أن الله تعالى لم يعب على قارون كثرة ماله لأن المال ليس مذموما بذاته، إن كان من حلال وأنفق فى حلال، وإنما عاب عليه استخدامه لذلك المال الذى أوصله إلى التعالى على قومه، وإنكار حق الله فيه.

فعندما نصح المؤمنون قارون بعدم تجبره وتكبره فقال: (إنما أوتيته على علم...) فإن كان ذا قوة وذا مال، فقد أهلك الله من قبله أجيالا كانت أشد منه قوة، وأكثر منه مالا، وكان عليه أن يعلم ذلك حتى يكون له عبرة، ولكن حدث ما هو عكس ذلك فقد علم قارون سنة الله فى أرضه وعلم هلاك القرون الأولى كما جاء فى التوراة من أنبائهم، فهو ادعى العلم ولم يعلم به كما أمر الله تعالى، ولم ينتصح، ولم يخف من سخط الله تعالى وظل مصرا على كبره وجبروته حتى جعله الله عبرة للناس[3].

رابعا: هلاك الطغاة فيه عبرة لأولى الألباب

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

(١) ابن فارس، أبى الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، (١٠٨/١)، تحقيق: عبد السلام هارون، مرجع سابق.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، أبو الفدا عماد الدين: تفسير القرآن العظيم، (٤١٣/٣)، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٣) البغوى، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: معالم التنزيل فى التفسير والتأويل، (٣٥٦/٤ – ٣٥٧)، مرجع سابق.

وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٦ – ٧٨].

تأتى هذه الآيات الكريمة يعرض مثال واقعى لطاغية، حاول أن يخدع الناس بكثرة ماله، وأوشك أن يدعى لنفسه ما ادعاه سيده فرعون من قبل، فادعى هذا الطاغية – قارون – أن هذا المال حازه بعلمه وقوته، ونسى قدرة الله – تعالى – المالك الحقيقى لهذا الكون ومن فيه، وادعى أن هذا المال الذى أوتيه دليل على رضى الله – تعالى – عليه، ولم يعتبر بمصير الطغاة من الأمم السابقة، الذين أهلكهم الله ولم يبال بهم.

تذكر لنا الآيات موقف قارون من دعوة الله (ﷻ) متمثلا ذلك فى موقفه من قومه بنى إسرائيل **(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى)** ومع ذلك جاء وصفه **(فَبَغَى عَلَيْهِمْ)** أى خرج عن حد القانون، فى تعديه على قومه وإفساده فيهم وظلمه إياهم.

وقيل: كان عاملا لفرعون على بنى إسرائيل فكان يبغى عليهم ويظلمهم[١].

وقال بعضهم: كان بغيه عليهم بكثرة ماله.

وقال آخرون: بزيادة شبر فى ثوبه"[٢].

وتؤكد الباحثة أن الذى يهمنا – كمسلمين – من ذلك أن التجاوز قد وقع بغض النظر عن أسبابه وصورته.

---

(١) البغوى، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: معالم التنزيل فى التفسير والتأويل، (٣٥٦/٤)، مرجع سابق.

(٢) الطبرى، أبو جعفر بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى)، (١٢٨/٢٠)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقى جميل العطار، مرجع سابق.

وقد سميت أمواله كنوزا، إذ كان ممتنعا عن دفع زكاة أمواله، وهذه أول عداوة مع موسى (عليه السلام) – إذ جحد حق الله – تعالى – فى ماله[١]. هذه الكنوز والأموال كانت من الكثرة حتى قيل فيها: **(مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)** فقد عبر عن ثقلها، حتى إن المجموعة من الرجال الأقوياء، يعجزوا عن حملها ونقلها، أو تحتاج مفاتحيها للعصبة من الرجال للقيام بها[٢].

قال تعالى: **﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾** [القصص:٧٦] قيل: الناصح هنا هو موسى (عليه السلام)[٣] كما بينهما من قرابة وبسب ما حدث من قارون من جحد للزكاة وحسد لموسى وهارون (عليهما السلام)[٤] –.

وقيل: هم الصالحون من قومه [٥].

وتؤكد الباحثة أن الأمر يشمل موسى والصالحين من قومه،لأن موسى (عليه السلام) هو أولى من يقوم بالنصح والإرشاد، والآخرون له تبع فى ذلك.

---

(١) أبو حيان الأندلسى، محمد بن يوسف: البحر المحيط، (١٢٦/٧)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مرجع سابق.

(٢) الحنبلى، عمر بن على بن عادل الدمشقى: اللباب فى علوم الكتاب (تفسير ابن عادل)، (٢٨٨/١٥)، مرجع سابق.

(٣) الفخر الرازى، محمد الرازى فخر الدين بن ضياء الدين عمر: التفسير الكبير، (مفاتيح الغيب)، ط٢، (٣٢٣/١٣)، مرجع سابق.

(٤) أبو حيان الأندلسى، محمد بن يوسف: البحر المحيط، (١٢٦/٧)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مرجع سابق.

(٥) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، أبو الفدا عماد الدين: تفسير القرآن العظيم، (٤١٢/٣)، مرجع سابق.

فتقدموا له بالنصح بعدة أمور: نهوه أن يكون من المرحين الأشرين[١]، والذين يبطرون نعمة الله – تعالى – ولا يشكرونه على إنعامه[٢]، ثم نصحوه بقولهم: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ)** هذا واجب على كل مسلم، أن تكون الآخرة هى الهم الأول والرئيسى، فالدنيا ما هى إلا مزرعة للآخرة، وفى نصحهم دلالة خاصة على أن قارون قد انشغل فى دنياه حتى ألهته عن الآخرة.

وزادوا فى نصحه **(وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ)** والفساد يكون بالبغى والظلم، ويكون بإنفاق المال فى غير وجهه، أو إمساكه عن وجهه المشروع[٣]، فهذه النصائح لو أخذ بها قارون لكانت نجاة له فى الدنيا، وفوزا له فى الآخرة، ولكنه تمادى فى بغيه وعناده بقوله: **(قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي)** وقال: (عندى) أى فيما لدى وأعتقد بذلك أنى أستحقه[٤].

ويأتى التعقيب الإلهى على قارون وأمثاله ومخاطبا الأمة: **﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيموَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونفَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ**

---

(١) ابن فارس، أبى الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، (١٠٨/١)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مرجع سابق.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، أبو الفدا عماد الدين: تفسير القرآن العظيم، (٤١٣/٣)، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، (٤١٤/٣).

(٤) ابن الأثير، على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم: الكامل فى التاريخ، (١٥٦/١)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى مرجع سابق.

يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونتِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص: ٧٩ – ٨٤].

فماذا كانت نتيجة البغى والعناد والمكابرة لهؤلاء الطغاة؟

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١].

وقد ذكر المفسرون أسباب هذا الخسف، والاكتفاء بما دل عليه النص القرآنى، لأخذ العبرة والعظة وتفويض التفاصيل لعالم الغيب(١).

وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (بينما رجل يمشى، قد أعجبته جمته وبرداه، إذ خسف به الأرض، فهو يتجلجل فى الأرض حتى يوم الساعة)(٢).

قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١]، فعلى كثرة أمواله وجنوده، ومرتزقته ومنافقيه، فما استطاع أحد منهم أن يمنعه من عقوبة الله – تعالى – أو يحول بينه وبين الخسف به وبأمواله (وَمَا كَانَ

(١) الحنبلى، عمر بن على بن عادل الدمشقى: اللباب فى علوم الكتاب (تفسير ابن عادل)، ط٢، (٢٩٦/١٥)، مرجع سابق.

– الفخر الرازى، محمد الرازى فخر الدين ابن ضياء الدين: التفسير الكبير، ط٢، (١٨/٢٥)، مرجع سابق.

(٢) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى، (١٠٨٣/٢)، حديث رقم (٣٤٨٥)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الفار، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

﴿مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ ثم لم ينج من بطش الله – تعالى – بعلمه وفضله، الذى دعاه لنفسه عند الله زورا وبهتانا.

المطلب الثالث
الابتلاء للبناء والتوجيه

يقرر المولى (ﷻ) أن الأمة الإسلامية ستبتلى بأنواع من الابتلاءات، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وجاء فى تفسير هذه الآية، قال الفراء: بشئ من الخوف، وشئ من الجوع، وشئ من نقص الأموال، وقال ابن عباس: فأما الخوف وهو الفزع فى القتال، والجوع المجاعة التى أصابت أهل مكة سبع سنين، ونقص من الأموال ذهاب أموالهم والأنفس بالموت والقتل الذى نزل بهم، والثمرات لم تخرج كما كانت تخرج(١).

وقد وجه الله تعالى المسلمين إلى كيفية التصرف فى حين حدوث الابتلاء، إذ أرشدهم إلى الصبر، فقد نصت الآية الكريمة بالبشرى للصابرين (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)، وقد قال القرطبى فى تفسيرها: أى بالثواب على الصبر، والصبر أصله الحبس، وثوابه غير مقدر، وعلامة الصبر يكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات(٢).

(١) الجوزى، عبد الرحمن بن على بن محمد: زاد المسير فى علم التفسير، ط ٣، (١٦٢/١)، المكتب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ.

(٢) القرطبى، محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، (١٦٩/٢)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركى، مرجع سابق.

وتؤكد الباحثة أنه لابد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، لابد من هذا البلاء ليؤدى المؤمنون تكاليف العقيدة، فالتكيف هنا هى الثمن النفسى الذى تعز به العقيدة فى نفوس أهلها، قبل أن تعز فى نفوس الآخرين.

المطلب الرابع
الابتلاء بالمحاسبة والتقويم

جاء على لسان نوح (عليه السلام): ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] وعلى لسان هود (عليه السلام): ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيب﴾ [هود: ٦١]، وعلى لسان شعيب (عليه السلام): ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُود﴾ [هود: ٩٠]، وعلى لسان موسى (عليه السلام): (فتوبوا إلى بارئكم) (البقرة: ٥٤).

وأورد القرآن الكريم عن موسى (عليه السلام): ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وجاءت التربية القرآنية مؤيدة هذا الأسلوب للتقويم والمحاسبة أى (التوبة والاستغفار) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والتوبة والاستغفار أسلوب هام فى التربية والتعليم، وينفرد الإسلام فى فتح هذا الباب الواسع للمسلم ويجعله مفتوحا إلى نهاية العمر ومنهج الإسلام فى التربية والتعليم كله معونة، وتتميز هذه المعونة بأنها تقوم على أساس تقدير ضعف الإنسان وأنه يضل ويهتدى(١).

(١) خليل، محمد رشاد: علم النفس الإسلامى العام والتربوى، دراسة مقارنة، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٧، ص ص ١٦٥ – ١٦٦.

وإن أسلوب التوبة والاستغفار من أقوى وسائل الإصلاح فى التربية وهو ما تفطنت إليه النظريات التربوية الحديثة، ودعت إليه التماسا لإصلاح المنحرفين(١).

وتشير التربية الإسلامية إلى أساليب تغيير الذات وذلك بالاستعانة بالله – تعالى – فقد جاء على لسان موسى (عليه السلام) لقومه (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا).

والاستعانة بالله وطلب العون منه كأسلوب هام من أساليب تغيير الذات، إلى جانب تنمية الإرادة ورقابة الضمير ومصاحبة الأخيار واتخاذ القدوة والممارسة المستمرة، فالله سوف يعين من طلب منه العون والتبصرة والهداية إلى سبيل الرشاد(٢).

وبقدر ما اهتمت التربية بأساليب المحاسبة والتقويم، فإنها تهتم بأساليب الوقاية والإرشاد إلى ما يقى ويمنع من الخطأ بتنمية الضمير والوازع الداخلى بالتقوى (فاتقوا الله) (الشعراء: ١٠٨، ١١٠) وتجنب مؤثرات الباطل والعزلة وتوفير البيئة الصالحة النقية من التلوث والقضاء على مصادره، والانتقال إلى بيئة أخرى صالحة، كخروج موسى (عليه السلام) مع بنى إسرائيل من مصر، وانتقال نواة المجتمع الصالح فى سفينة نوح إلى أرض أخرى، وخروج لوط (عليه السلام) بأهله حتى تتوفر البيئة التربوية الصالحة.

ومن أبرز نماذج الابتلاء بالمحاسبة والتقويم، ما حدث من توجيه قرآنى عقب غزوة أحد، روى ابن هشام: قال ابن إسحاق: كان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله تعالى به المؤمنين، وامتحن به المنافقين، فمن كان يظهر

(١) الزنتانى، عبد الحميد الصيد: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ط٢، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٩٣م، ص ٢٣٠.

(٢) يالجن، مقداد: أساسيات التوجيه والإرشاد فى التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٩، ص ١١٧.

الإيمان بلسانه وهو مستخف بالكفر فى قلبه، ويوم أكرم الله تعالى فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران، فيها صفة ما كان فى يومهم ذلك، ومعاتبة من عاتب منهم..."[1].

ومن هذه المشاهد من القرآن الكريم للمؤمنين، كيف انقلب نصرهم إلى هزيمة ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

يقول الواحدى فى تفسيره: "**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ**" بالنصر والظفر، (**إِذْ تَحُسُّونَهُم**) تقتلون المشركين يوم أحد فى أول الأمر، (بإذنه) بعلم الله وإرادته، (**حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ**) جنبتم فى عدوكم، (**وَتَنَازَعْتُمْ**) اختلفتم فى الأمر، يعنى قول بعضهم: ما مقامنا وقد انهزم القوم الكافرون، وقول بعضهم: لا تجاوز أمر رسول الله (ﷺ)، وهذا الاختلاف كان بين الرماة الذين كانوا عند المركز (وعصيتم) الرسول (ﷺ) بترك المركز، (**مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ**) من الظفر والنصر على أعدائكم، (**مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا**) وهم الذين تركوا المركز، وأقبلوا على الذهب، (**وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ**) أى الذين ثبتوا فى المركز، (**ثُمَّ صَرَفَكُمْ**) ردكم الهزيمة (**عَنْهُمْ**) عن الكفار،(**لِيَبْتَلِيَكُمْ**) ليختبركم بما جعل عليكم من الدبرة، فيتبين الصابر من الجازع والمخلص من المنافق،

(١) ابن هشام، عبد الملك: سيرة ابن هشام (السيرة النبوية لابن هشام)، (٥٧/٤)، مرجع سابق.

(وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ) ذنبكم بعصيان النبى (ﷺ) والهزيمة، (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) بالمغفرة [1].

المطلب الخامس
أساليب القرآن الكريم فى التربية بالابتلاء

تتنوع أساليب التربية قديما وحديثا، ما بين الموعظة والقصة، والحوار، والتدريب، والترغيب والترهيب، والخبرة، والممارسة، وقد لاحظنا استخدام القرآن الكريم للابتلاء متضمنا خلال أساليب عدة، نذكر منها ما يلى:

أولا: أسلوب القصة

عرض القرآن الكريم عددا من تجارب الابتلاء – أنواعه – للأمم والأفراد السابقين، وفق أسلوب القصة الموجود فى القرآن الكريم، وهذه جملة التوجيهات الواردة فى هذه السورة – القصص – المباركة وذلك على النحو التالى:

١– هدف التربية:

إن أى تربية لا تتوجه نحو هدف معين هى تربية فاشلة لأنها تقام على غير هدى ومآلها تخبط فى أودية الدنيا ولهذا كان هدف التربية واضحا عند موسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]. فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لخوف الظالمين ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، نعم هدف التربية هو الوصول بالمربى والنشء إلى توحيد الله تعالى وإقراره بالعبودية، ولقد تعزز هذا الهدف ببيان ضلال نقيضه، قال

(١) الواحدى، على بن أحمد: الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز (تفسير الوجيز)، (٢٣٧/١)، دار القلم، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق الظالمين ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]: خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم [١].

٢- بيئة التربية:

فالمربى الناجح هو الذى يتخير لناشئته البيئة الصالحة التى تعزز فيهم إلزام أمر الله -تعالى- وتعين عليه، وهذا واضح فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

وتستنتج الباحثة أن المربى الناجح أو الداعية الناجح يجوز له الخروج من بلده فراراً من عدوه، وبهذا قبل موسى (عليه السلام) نصيحة مؤمن آل فرعون بالخروج من مصر، لأن الملأ من قوم فرعون يتشاورون على قتله، ولا يعد هذا القرار من الداعية جبنا، لأن الداعى فى كر وفر مع أعداء الله، **وتلمح الباحثة** أن هناك تشابها كبيرا بين خروج موسى (عليه السلام) وهجرة الرسول(ﷺ).

٣- تحقيق صفات المربى:

فلا تربية دون قدوة وأسوة، ولا يمكن أن نتأمل خيرا من مربى يخالف حالهمقاله، ولهذا كان موسى (عليه السلام) يشمل نفسه فى كل دعاء، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

(١) أبو السعود العمارى،محمد بن محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبى السعود)، (٨/٧)، مرجع سابق.

فهذا هو المربى الناجح أو قل المربى الداعية، وهذا هو المربى الذى لا يركن إلى وجود الأسباب ولا يجزع من غيابها، بل دأبه الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه والالتجاء إليه والافتقار بين يديه إلى الاتصال بحبله المتين لا يثنيه، قال تعالى فى ذلك: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

هذه بإيجاز بعض المعالم التربوية فى هذه الآيات الكريمات، وحرى بمن التزم نهج هذه السورة أن يمن الله تعالى عليه بالعاقبة الحسنة فى الدنيا والآخرة، أما الدنيا فكما قال تعالى: ﴿إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].وأما الآخرة فرجاء عفوه ومغفرته (ﷻ): ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاَقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١].

فموسى (عليه السلام) توجه فى كل مواقفه لله (ﷻ) بالدعاء الدائم الذى يعد من الإيمان: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمِ﴾ [القصص: ١٦]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، ﴿عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

وتستنتج الباحثة أن سياق هذه الآيات غير متوالية يدل من خلال تحليلها على أن شخصية موسى (عليه السلام) كانت شخصية مطمئنة مرضية.

ثانيا: أسلوب الموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن

نص الله (ﷻ) فى كتابه الكريم فى سورة النحل على هذا الأسلوب وأمر نبيه محمد (ﷺ) فى دعوته كما قال تعالى فى سورة النحل: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

إن من أسباب الفتن والابتلاءات العظيمة التى وقعت ولا تزال تقع فى بلاد المسلمين انعدام المحاورة بين الأطراف المتنازعة لبحث سبل التفاهم والاتفاق، لأن القاعدة التى يجب أن ينطلق منها المسلمون هى قبول الاختلاف لا التصلب العجيب على الرأى دون قبول الآراء الأخرى، وفى الاختلاف رحمة للجميع، فكما خلق الله – تعالى – البشر بطباع مختلفة وإدراكات متفاوتة جعل الاختلاف فيما بينهم أمرا محتما ومشروعا.

والحوار بالتى هى أحسن شرط أساسى فى تجسيد حوار واضح المقاصد رغبة فى الفهم المتبادل من أجل صياغة مشروع تفاهم بهدف تشجيع التضامن الإنسانى العام(١).

أمرنا الله – تبارك وتعالى – بالدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] ومن لطائف هذه الآية أنه قال: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ فقصر الدعوة على ذكر هذين

(١) عمار جيدل: حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام فى التأسيس للتواصل الإنسانى، دار الحامد، عمان، الأردن، ٢٠٠٣، ص ٥٩.

القسمين، لأن الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهى الحكمة، وإن كانت بالدلائل اللفظية وهى الموعظة الحسنة(١).

وقد بينت الآية الكريمة أن الدعوة إلى الله – تعالى – تكون بثلاثة أمور وهى:

١- بالحكمة

وهى أهم الثلاثة بل هى رأس الأمر، فالداعية الحكيم مثل الطبيب الماهر الذى يعرف العلاج الناجح ويعرف لكل حال ما يناسبها ولكل مدعو ما يصلح له فالحكمة هى الإصابة فى القول والإجادة فى العمل، ولذلك فقد امتدح الله تعالى أهل الحكمة ووصفهم بالخيرية، فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال السعدى فى ذلك: "أى ليكم دعائك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح (بالحكمة)، أى: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله والقيادة، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم وبالرفق واللين، فإن إنفاذ الحكمة وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة وهو الأمر والنهى المقرون بالترغيب والترهيب(٢).

٢- الموعظة الحسنة،

والمقصود بالموعظة الحسنة: هى تلك التوجيهات الإلهية، والإرشادات الربانية النابعة من المحاولات القولية التى يسد بها الداعية إلى المدعوين ليؤثر فيهم تأثيرا عميقا.

---

(١) الرازى، فخر الدين: مفاتيح الغيب، (١١٢/٢٠)، مرجع سابق.

(٢) السعدى، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، (٦٢٢/١)، تحقيق: ابن عثيمين، مرجع سابق.

٣- المجادلة بالتى هى أحسن:

وهى الأدلة الكلامية الدامغة التى يستعرضها الداعية عند مواجهة المخالفين لإسكاتهم وذلك بمقابلة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، بالأسلوب الحكيم، فأمرنا الله تعالى مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] أى من اليهود والنصارى، بالخصلة التى هى أحسن لمقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح(١).

لذلك فقد استخدم موسى (عليه السلام) فى دعوته لفرعون أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادل بالتى هى أحسن رغم محاولات فرعون الاستفزاز به، ومحاربته الصريحة للدعوة إلا أن كل ذلك لم يغير فى أسلوب موسى (عليه السلام) ولم يجعله يلجأ إلى المواجهة بل استمر فى دعوته بالموعظة، فاشتمال القلوب وكسب الأنصار ،وهذه دعوة صريحة للمتعجلين فى الدعوة الذين قدموا أسلوب المواجهة والمصادمة على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، فأضروا بالدعوة أكثر مما خدموها، دعوة صريحة لهم أن يعوا إلى منهج الأنبياء فى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن كان يتوقع أن امرأة فرعون الذى فعل ما فعل مع موسى (عليه السلام) سوف تتبع موسى (عليه السلام) وهى أقرب الناس إلى فرعون، كل ذلك من آثار الدعوة المباركة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ونذكر موقف من مواقف موسى (عليه السلام) التى تدل على الحكمة والموعظة الحسنة فى دعوته لفرعون، فحين قال له فرعون فى ختام الحوار الذى دار بينهما قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. لما رأى

(١) الألوسى، شهاب الدين: روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى، (٢/٢١)، مرجع سابق.

موسى (عليه السلام) أن فرعون بدأ يخرج إلى التهديد ويتهرب من المناظرة رأى أن من الحكمة أن يدير هو كذلك دقة الحوار إلى ما يجعل فرعون يتفاعل معه فى زمن كان الناس فيه يتنافسون فى السحر ويتفنون فيه، فقال: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠] وفعلا نسى فرعون ما كان يتهدد به موسى (عليه السلام) من السجن وبدأ يتجاوب معه بشكل سريع لأنه وجد أن موسى (عليه السلام) فتح له بابا ليس فى صالحه، فقال بسرعة: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ٣١].

وهكذا وبهذا الحكمة والموعظة الحسنة استطاع موسى (عليه السلام) أن يمتص انفعال فرعون ويكسب فرصة أخرى ليعرض دعوته على فرعون وقومه.

وتشير التربية بالمحن والابتلاءات إلى أهمية هذا الأسلوب فى أكثر من موضع: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

وقد جاءت التربية الإسلامية إلى موسى (عليه السلام) باستعمال هذا الأسلوب: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] وقد حث الهدى القرآنى على استعمال هذا الأسلوب، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

والوعظ والإرشاد من أفضل الوسائل التى تؤثر على عقول النشئ وتغذى مشاعرهم وعواطفهم، وعقولهم بالقواعد الأخلاقية، فالموعظة المؤثرة تؤثر فى النفس، وتتطرق إليها، مما يؤدى إلى تعديل سلوك النشء، وإكسابهم القيم والأخلاق المرغوب فيها[1].

(١) طهطاوى، سيد أحمد: القيم التربوية فى القصص القرآنى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٨٢.

فلابد للموعظة من القدوة، وحين توجد القدوة الصحيحة فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ فى النفس وتصبح دافعا من أعظم الدوافع فى تربية النفوس[١].

ثالثا: أسلوب التربية بالأحداث (التربية بالخبرة)

للابتلاء دور عظيم فى تربية النفوس وتدريبها على تحمل المشاق وتهيئتها لمواجهة أى ظرف طارئ أو محتمل، كما أن فيها تدريب للقوى العقلية والذهنية وتوجيهها لها كى تسير على المنهج السوى الذى يحقق الفائدة المرجوة منها، كما أن فى ذلك حماية لها من الزيغ والانحراف، وسنشير فيما يلى إلى أهم الثمار التربوية لعملية الابتلاء.

إن المبتلى بالذنوب أو بالضراء يصبح لديه من الخبرة ما يمكنه من معالجة ذلك مستقبلا معالجة صحيحة، يقول ابن القيم: المبتلى بالذنوب يصبح كالطبيب المجرب الذى عرف المرض مباشرة، ومن ثم فهو يعرف كيف يعالجه علاجا صحيحا، وهذا معنى قولهم: أعرف الناس بالآفات أكثرهم آفات، وهذه قيمة معرفية أولا، وهى ثانيا قيمة علمية تفيد فى معالجة الحالات المماثلة[٢].

ويقول ماجد الكيلانى: الابتلاء تربية بالخبرة هدفها فهم الخير وتذوق جماله وفهم الشر والنفور من قبحه، ومن خلال هذا الفهم وهذا التذوق تتحقق غاية مهمة من غايات الابتلاء وهى إدراك عظمة النعم الإلهية على الإنسان، ثم يكون من وراء ذلك الابتلاء نوع من الترقى العقلى والاجتماعى، لأن الإنسان حيث يمتحن بموقف معين ثم يتبع الأساليب الصحيحة لمعالجته فتكون لديه خبرة صحيحة

(١) الشرقاوى، حسن: نحو تربية إسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص ٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٥.

بطبيعة المواقف الزمنية والأشياء الكونية، ويعرف الأساليب الصحيحة لمعالجتها(١).

إن تربية الإنسان وتأديبه يقتضيان فى بعض الأحيان إذاقته بعض ما يكره من المصائب أو الآلام، وعندئذ يكو مصلحة الإنسان نفسه هى التى اقتضت أن يصيبه من الله (ﷻ) بعض الابتلاءات التى تتربى بها نفسه عن طريقها أخلاقه(٢).

وقد اقتضت حكمة الله – تعالى – فى التربية والتعليم أن أنزل القرآن على الأمة باللغة الحبيبة إلى نفوسهم وبالأسلوب الخلاب والنظم المعجز الآخذ بقلوبهم، وأنه تدرج بهم فى نزوله، فلم ينزل جملة واحدة يرهقهم به، ويعجزون عنه، بل أنزله منجما فى مدى عشرين أو بضع وعشرين سنة، ثم ربطه بالحوادث والأسباب الخاصة فى كثير من سوره وآياته، ودعمه بالدليل والحجة، وخاطب به العقول والضمائر، وناط به مصلحتهم وخيرهم وسعادتهم، وصور فى ذلك كله عن رحمة واسعة بهم، يكادون يلمسونها باليد ويرونها بالعين(٣).

لقد كانت التربية القرآنية بالأحداث تربية عملية تقوم فى واقع الحياة الملموس، ولم تكن مجرد حاضرات أو دروس نظرية، وإنما ترتكز على الواقع ومعطياته التطبيقية، ولعل السمة البارزة فى هذه التربية هى الابتلاء، وذلك أنها تحول المفاهيم إلى حركة، وهذا ما يخيف الجاهلية، فتتربص بالمسلمين الدوائر، وتسعى إلى حصارهم فينتج عن ذلك الابتلاء(٤).

---

(١) الكيلانى، ماجد عرسان: فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٢) الميدانى، عبد الرحمن حسن جنة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، (٤٧٩/٢)، مرجع سابق.

(٣) الزرقانى، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان فى علوم القرآن، (٢١١/١)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، مرجع سابق.

(٤) حدبا، عزام: خصائص التربية بالأحداث.
Http://www.hayran.inpo/articles.php?Catid=٥٧٨id=١١٢.

وقد عايش القرآن الكريم فترات ابتلاء المسلمين حادثة بحادثة ولحظة بلحظة، منبهاً وموجأ ومحاسباً مما كان له الأثر الكبير فى تمييز الجيل الأول من الصحابة، وإبداعهم (ﷺ):

١- تنبيه المسلمين لما ينتظرهم من ابتلاءات، قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ **[البقرة: ١٥٥]**

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ **[آل عمران: ١٨٦]**

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ **[محمد: ٣١]**

٢- الثناء على المؤمنين في موقعة بدر، والامتنان عليهم: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ **[الأنفال:١٧]**

٣- الثناء على المؤمنين الصالحين: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ **[القصص: ٢٩].**

٤- توضح الحكمة من الحرب: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ **[محمد: ٤]**

٥- معالجة موقعة أحد، واستخلاص العبر منها:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ **[آل عمران: ١٥٢]**

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ **[آل عمران: ١٥٤]**

٦- فضح المنافقين: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ **[الأحزاب: ١١]**

ومن هذه الآيات **توضح الباحثة** كيف استخدم القرآن الكريم أسلوب التربية بالخبرة في توجيه الصحابة وترتبيتهم، مما كان له الأثر الواضح في ابداعهم وتفوقهم (رضي الله عنهم).

٧- الكبر أساس الجحود والكفران: ﴿**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ**﴾ [القصص:٣٩]، وقال تعالى: ﴿**قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ**﴾ [القصص:٤٨]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ**﴾ [القصص: ٧٦]، وقال تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

٨- التواضع لله عزة ورفعة: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] إنها قيمة الأخلاق والتواضع لله، عندما يلتزم المؤمن أمر الله – تعالى – حتى فى مواجهة السفهاء.

٩- الإيمان باليوم الآخر ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] وقوله: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤] وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

وتؤكد الباحثة أن هذه الآيات وتابعاتها من السورة كلها تتكلم عن أقوال يتعرض لها المشركين الذين أشركوا مع الله آخرين سواء فى ربوبيته أو ألوهيته فيقيم الله الحجة عليهم جميعا مع شركائهم، إنهم لا يملكون لبعضهم بعضا ضرا ولا نفعا، بل يعل مكنونات صدورهم وعلانيتها. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص: ٦٩].

رابعا: أسلوب الترهيب والترغيب

من الأساليب النبوية فى الدعوة إلى الله تعالى أسلوب الترهيب والترغيب، وقد وصف الله – تعالى – رسله وهم أئمة الدعوة والدعاة بأنهم مبشرين ومنذرين، والبشارة هى الترغيب، والإنذار هو الترهيب، قال تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ

﴿يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] ولذلك أول كلمة قالها كل رسول لقومه، هى أمرهم بعبادة الله تعالى، ونهيهم عن عبادة أحد سواه، فنوح (عليه السلام) يقول لقومه كما حكى القرآن عنه: ﴿يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فالذى قصه الله – تعالى – من أخبار عن رسله (b) لنبيه محمد (ﷺ) لهو الغيب الذى لا يعلمه الرسول (ﷺ)، فكان الأخبار من الله – تعالى – جلت قدرته بهدف الاعتبار، وإظهار صدق النبى (ﷺ) فى دعوى الرسالة، ونرى مثل هذا المعنى أيضا، هو الدلالة على أن هذا القرآن من عند الله (تعالى) وحده، فيما قصه سبحانه علينا بعد حديث طويل عن جانب موسى (عليه السلام)، فقد قال (سبحانه وتعالى): ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينوَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينوَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٤ – ٤٦]، والمعنى أن الله – تعالى – يخبر رسوله (ﷺ) عما قصه عن نبيه موسى (عليه السلام)، وكيف أوحى إليه بالنبوة وإرساله إلى فرعون وقومه، ليكون ذلك حجة على صدقه، وبرهانا على نبوته، وقد كان ذلك عند الجانب الغربى لجبل الطور[١]، ولم يكن الرسول (ﷺ) شاهدا على الحدث زمن الوحى، ولكن أخبر بذلك بعد أن خلت بينه

(١) جبل الطور هو المكان الذى كلم الله – تعالى – به موسى (عليه السلام)، **انظر:** الصابونى، محمد على: صفوة التفاسير، ط٤، (٤٣٦/٢)، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

وبين موسى(عليه السلام) أزمان طويلة، لتخويف قوم ما جاءهم رسول قبله[1]. ولم يكن أيضا مقيما فى أهل مدين ليعلم خبر موسى وشعيب (عليهما السلام) وابنتيه، ولم يكن كذلك بجانب جبل الطور وقت أن نادى الله – تعالى – موسى (عليه السلام) وأنزل إليه التوراة لتكون هداية ونورا لقومه.

كما تتحدد نهاية المكذبين الذين أصروا على كفرهم، ولم يستمعوا لنصائح أنبيائهم، واستحبوا العمى على الهدى، وجحدوا نعم الله – تعالى – واستعملوها فى المعاصى لا فى الطاعات، كتلك التى نراها فى قصة قارون الذى آتاه الله – تعالى – من النعم ما أتاه، فلم يشكر الله تعالى على نعمه، بل قال بكل غرور وكبرياء ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨]، ولذلك فقد استخدم موسى (عليه السلام) الترغيب والترهيب فى دعوته فمن الترغيب مثلا قول موسى (عليه السلام) لقومه: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] فرغبهم بالجزاء الدنيوى قبل الجزاء الأخروى وهو وراثة الأرض وأن تكون لهم العاقبة، وكان من الترغيب الذى استخدمه موسى (عليه السلام) فى دعوته لين الخطاب، وهذا هو معنى قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]. فالقول اللين هو: "القول الذى لا خشونة فيه، فإذا كان موسى (عليه السلام) أمر بأن يقول لفرعون قولا لينا فمن دونه أحرى بأن يقتدى بذلك فى خطابه وأمره بالمعروف فى كلامه"[2].

(١) المرجع السابق، (٤٣٦/٢ – ٤٣٧).

(٢) القرطبى، عبد الله محمد بن أحمد بن الأنصارى بن أبى بكر بن فرج: الجامع لأحكام القرآن، ط٣، (٢٠٠/١١)، مرجع سابق.

ومن هنا – أيضا – نفهم قوله تعالى لسيدنا محمد (ﷺ): ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] أى: فبرحمة من الله لنت لهم أى سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتمالك ولم تسرع إليهم بالغضب، ولو كنت فظا جافيا سيء الخلق قليل الاحتمال، غليظ القلب لانفضوا من حولك أى نفروا وتفرقوا عنك"[(١)]، ومن ثم تستنتج الباحثة أن القليل من العطف على أخطاء الناس وهفواتهم، وعدم تتبع عوراتهم وذلاتهم تعرب المسافة بيننا وبينهم، وليس هذا تملق أو تزييف للحقيقية بل إيصالها بوجه حسن وأسلوب يرفع قابلية الناس لاستقبال دعوتنا إلى الله (ﷻ).

(١) البغوى، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: معالم التنزيل فى التفسير والتأويل (تفسير البغوى)، ط٢، (٢/٣٦٥)، تحقيق: خالد الفك، مروان سوار، مرجع سابق.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم النبوات والرسالات سيدنا محمد (ﷺ) وبعد.

فهذا بحث قيم يتحدث عن التربية بالابتلاء فى ضوء سورة القصص له علاقة وطيدة بالواقع المعاش، توصلت الباحثة من خلاله إلى نتائج وتوصيات.

أولا: نتائج البحث

١- أن العلاقة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى للابتلاء علاقة اتفاق وترادف وتفصيل.

٢- لاحظت الباحثة وبالرجوع إلى كتب التفسير أن سورة القصص لم تختص إلا بهذا الاسم.

٣- عدد آيات سورة القصص تتردد بين سبع وثمان وثمانين ومنبع الخلاف بين البصريين والكوفيين فى اعتبار الحروف المقطعة فى أول السورة آية أو عدم اعتبارها، وتتبنى الباحثة رأى الكوفيين بأن عدد آياتها ثمان وثمانين وهو رأى جمهور المفسرين.

٤- من خلال البحث فى كتب التفسير لم تجد رواية صحيحة تتحدث عن فضل سورة القصص وكل ما ورد فى فضلها فى كتب التفسير روايات شديدة الضعف أو موضوعة حسب حكم العلماء عليها.

٥- من خلال البحث فى كتب التفسير وأسباب النزول لم تجد الباحثة سبب نزول عام للسورة ولكن بعض آيات السورة لها سبب نزول.

٦- سورة القصص من السور المكية التى تميز بالاهتمام بالتوحيد وترسيخ العقيدة فى نفوس أبناء الدعوة الإسلامية.

٧- محور سورة القصص يدور حول الصراع بعين الحق والباطل يمثل الحق فى هذا الصراع موسى وهارون وأتباعهما ويمثل الباطل فرعون وهارون وجنودهما.

٨- بالرجوع إلى كتب التفسير وجدت الباحثة أن هناك مناسبة بين سورة القصص وما قبلها وهى سورة النمل وما بعدها وهى سورة العنكبوت، وأن سورة القصص شارحة لسورة النمل ومفصلة لبعض جملها، كما أن سورة النمل مفصلة وشارحة لبعض مواضع من سورة القصص.

٩- من خلال الاطلاع على كتب التفسير وجدت الباحثة أن سورة العنكبوت امتداداً لأواخر سورة القصص.

١٠- الابتلاء يزيد القلوب المؤمنة الصابرة إيماناً ويجعل أصحابها يتعلقون بحبل الله واثقين بالله فى تفريج كروبهم.

١١- أن الله يمتحن عباده فى دينهم وثباتهم على الحق وقد يمتحن عباده أيضاً فى شكرهم لنعمه واعترافهم بآلائه.

١٢- إن أشد الناس ابتلاء أكثرهم إيماناً لذلك فإن أنبياء الله قد امتحنوا بمحن وابتلاءات من أشد المحن وأجلها.

١٣- كان قارون وفرعون عبرة لمن عاش معهما وتمنى أن يكون مكانهما وعظة لمن عاش بعدهما وعلم بما حدث لهما وأن سنن الله باقية فى خلقه ولا أحد بمأمن من عذابه.

١٤- إن منهج القرآن الكريم فى التصدى للطغيان هو منهج كامل وشامل ورادع ينتصر لأهل الحق ويسقط الباطل ولو بعد حين.

١٥- إن التربية الإسلامية للأجيال المسلمة خير وسيلة للدفاع عن العقيدة الإسلامية، وخير وقاية لهم من مخاطر الغزو الثقافى.

فالله –تعالى – قد ربى رسله (b) على عينه والرسول (b) بدورهم حملوا أمانة دين الله (تعالى) وبذلوا فى سبيلها أغلى ما يملكون من نفس ومال وولد وجهاد وخالص الأعمال، وقاموا على تربية أجيال حملت من بعدهم أمانة الدعوة إلى الله.

١٦- إن اليهودعنصر رئيسى للإفساد فى الأرض، وقاسم مشترك لكل رذيلة تنتشر بين العباد، وذلك بسبب طغيهم وتعاليهم وغطرستهم على خلق الله – تعالى –.

وقد ساق الله – تعالى – القصتين الأولى والثانية فى هذه السورة، موسى مع فرعون، وقارون مع قومه – تعريضاً باليهود، الذين تحالفوا مع قريش والكفار ضد دعوة الله – تعالى – وضد خاتم الأنبياء محمد (ﷺ)، وذلك لعلهم يتعظوا مما حدث مع أجدادهم الصالحين، عندما بغى وخفى عليهم الآخرون، فأفسدوا عليهم حياتهم، وقهروهم فى دينهم وشردوهم من أرضهم.

وها هم اليوم يسلك أحفادهم – أن كانوا حقا من أحفادهم – نفس الطريق فى البغى والطغيان والإفساد فى البلاد والعباد.

ولكن المسلم لا ييأس من فرج الله – تعالى – فالفرج قريب بإذن الله – تعالى.

١٧- تعتبر التربية بالابتلاء أحد مكونات التربية الإسلامية الهامة، فقد ورد فى القرآن الكريم لفظ الابتلاء واشتقاقه ثلاثة وثلاثين مرة.

١٨- الابتلاء سنة إلهية دائمة فى خلقه، وليس حالة عابرة، وهو للمؤمنين ليزدادوا إيمانا ونقاء وقدرة، وللكافرين تذكير وفتنة وعقاب.

١٩- **الابتلاء أنواع:** ابتلاء بالسراء، وابتلاء بالضراء، وذلك فى شتى جوانب الحياة، الصحية والاجتماعية والمهنية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

٢٠- تتعدد أهداف الابتلاء للوقاية والبناء والتوجيه والتقويم.

٢١- تتراوح أساليب التربية بالابتلاء ما بين التربية بالقصة، والموعظة الحسنة، والتربية بالحدث.

٢٢- نبهت السورة الكريمة إلى ضرورة الاعتناء بمنهج التربية الصحيحة.

٢٣- إن الابتلاء درس تربوى عملى يربينا، ويربى النفوس المؤمنة على الصبر، وما أحوجنا إلى الصبر فى كل شئ، فلن نستطيع البعد عن الباطل إلا بالصبر عن معصية الله، ولن نستطيع السير فى مناحى الحياة المختلفة إلا بالصبر على أقدار الله المؤمنة، وما أجمل الصبر فى ذلك كله، فهو زادنا إلى جنة الخلد والرضوان،قال تعالى فى ذلك: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم﴾ [فصلت: ٣٥].

٢٤- الابتلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب الأكبر فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون﴾ [السجدة: ٢١] والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونقصها.

٢٥- إن سنة الابتلاء سنة شاملة تشمل جميع أفراد الأمة دون استثناء أو محاباة لأحد حتى الأنبياء، فهى لا تتوقف فى زمن أو مكان دون مكان، فحياة الإنسان كلها ابتلاء على هذه الأرض إما بالسراء وإما بالضراء، فإن كانت الضراء فليشكروا الله وإن كانت الضراء فليصبروا، ومن رحمة الله تعالى أن جعل الابتلاء على قدر إيمان الإنسان وتحمله، قال (ﷺ): "أشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتلى حسب دينه، فما يبرح الابتلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة"(١).

التوصيات:

١- على كل المسلمين أن يتصفحوا ويطلعوا على القصص القرآنى وقصص الأنبياء ليعرفوا دعوة كل الرسل إلى توحيد الله.

(١) الترمذى، محمد بن عيسى: سنن الترمذى، (١٧٩/٤)، حديث رقم (٢٣٩٨)، مرجع سابق.

٢- المعارضون والمعاندون والمكابرون لمقاومة الحق ونصرة الباطل فهؤلاء لابد أن يسلك معهم طريق المجادلة بالتى هى أحسن بالعبارات الواضحة والبراهين البينة التى تحقق الحق وتبطل الباطل.

٣- وضع الدعوة فى موضعها المناسب لكل شخص وما يليق بحالة وما يناسبه ويكون أقرب لحصول المقصود منه.

٤- أوصى طلاب العلم بالتواصل مع موضوعات القرآن الكريم، فبالرغم من كثرة ما تناوله الباحثون من موضوعات قرآنية يبقى القرآن الكريم زاخرا بالكنوز الوافرة والموضوعات الكامنة فما أحوج الأمة اليوم والإنسانية بشكل عام إلى الحلول القرآنية لمعالجة مشاكل البشرية التى جربت كل العلاجات واقتنعت بعد طول شقاء وقوة تجربة بأن الإسلام هو الحل وأن القرآن هو البلسم والشفاء لأمراض الناس كافة.

٥- تدريس موضوع الابتلاء ضمن المقررات الدراسية فى المستويات المتعددة.

٦- استخدام الوسائط التربوية المتعددة فى فهم الواقع والتعامل معه من خلال مفهوم الابتلاء.

٧- تحويل الابتلاءات التى تتعرض لها الأمة إلى طاقة بناءة.

٨- محاربة روح الانهزام والعبثية ومنع الإتجار بهموم الأمة ونكباتها.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات وآخرون: **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

٣- ابن الأثير، عز الدين أبى الحسن، على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم: **الكامل فى التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤- ابن خلكان، أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٠٠م.

٥- ابن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، دار سحنون للطبع والنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٦- ابن عثيمين، محمد بن صالح: **الضياء اللامع من الخطب والجوامع**، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

٧- ابن عطية، أبى محمد عبد الحق بن غالب: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصارى وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٨- ابن عطية الأندلسى، أبى محمد عبد الحق بن غالب: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٩- ابن فارس، أحمد بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٠- ابن قيم الجوزى، محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد: **الفوائد**، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

١١- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، أبو الفدا عماد الدين: **تفسير القرآن العظيم**، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٢- ابن كثير، الحافظ أبى الفدا إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم**،ط٢، تحقيق: عبد القادر يعرب، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

١٤- ابن هشام، عبد الملك: **سيرة ابن هشام (السيرة النبويةلابن هشام)**، حققها وضبطها: مصطفى السقا وآخرون، الدار الثقافية العربية، بيروت، لبنان، د.ت.

١٥- أبو السعود العمارى،محمد بن محمد بن مصطفى: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبى السعود)**، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

١٦- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن سحاق بن بشير السجستانى: **سنن أبو داود**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د.ت.

١٧- أبو زيد، بكر بن عبد الله: **طبقات النسابين**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

١٨- أبى حيان الأندلسى، محمد بن يوسف: **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٩- الأدنة وى، أحمد بن محمد: **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٧م.

٢٠- الأصفهانى، الراغب بن محمد بن المفضل: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داوودى، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢م.

٢١- الألوسى، شهاب الدين: **روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى**، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د.ط.

٢٢- البخارى، عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: **صحيح البخارى**، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٣- البغوى، أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء: **معالم التنزيل فى التفسير والتأويل (تفسير البغوى)**، ط٢، تحقيق: خالد الفك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٤- البغوى، ابى محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء: **معالم التنزيل في التفسير والتأويل (تفسير البغوى)**، ط٤، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٥- البقاعى، برهان الدين: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرازق غالب مهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٦- البيضاوى، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

٢٧- الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك: **سنن الترمذى**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٢٨- الجوزى، عبد الرحمن بن على بن محمد: **زاد المسير فى علم التفسير**، ط ٣، المكتب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ.

٢٩- الجوهرى، إسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٢، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٣٠- الحنبلى، عمر بن على بن عادل الدمشقى: **اللباب فى علوم الكتاب (تفسير ابن عادل)**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣١- الدمشقى، أبى حفص عمر بن على بن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٢- الذهبى، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد: **سير أعلام النبلاء**، ط٩، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٣٣- الرازى، محمد الرازى فخر الدين: **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٤- الزحيلى، وهبة: **التفسير الوسيط**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٥- الزرقانى، محمد عبد العظيم: **مناهل العرفان فى علوم القرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

٣٦- الزركشى، بدر الدين محمد بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.

٣٧- الزركلى، خير الدين: **الأعلام**، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

٣٨- الزمخشرى، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمى: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل**، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.

٣٩- السعدى، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان**، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤٠- السيوطى، الحافظ جلال الدين: **الإتقان في علوم القرآن**، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤١- الشرقاوى، حسن: **نحو تربية إسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكدرية، ١٩٨٣م.

٤٢- الصابونى، محمد على: **صفوة التفاسير**، دار السلام، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ.

٤٣- الصابونى، محمد على: **صفوة التفاسير**، ط٤، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٤٤- الصابونى، محمد على: **صفوة التفاسير**، ط٩، دار الصابونى، القاهرة، د.ت.

٤٥- الطبرى، أبى جعفر بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (تفسير الطبرى)**، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقى جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٤٦- الفيروزآبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب: **بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ط٢، تحقيق: محمد على النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٧- الفيروزآبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم: **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٤٨- القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)**، تحقيق: هشام سمير البخارى، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٤٩- القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)**، ط٢، راجعه وعلق عليه: محمد إبراهيم الحفناوى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٥٠- القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد بن الأنصارى بن أبى بكر بن فرج: **الجامع لأحكام القرآن**، ط٣، تحقيق: أحمد عبد العليم البردونى، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

٥١- القرطبى، محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح: **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٢- القطان، مناع: **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٥٣- الكردى، راجح عبد الحميد: **شعاع من السيرة النبوية في العهد الملكى**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٥٤- الكيلانى، ماجد عرسان: **فلسفة التربية الإسلامية**، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، د.ت.

٥٥- الميدانى، عبد الرحمن حسن جنة: **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م.

٥٦- النيسابورى، ابن إسحاق: **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، ط٦، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بيروت، د.ت.

٥٧- الواحدى النيسابورى، أبو الحسن على بن أحمد محمد بن على: **أسباب النزول للواحدى**، ط٢، تحقيق: عصام بن عبد المحسن، دار الصلاح، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥٨- الواحدى النيسابورى، أبو الحسن على بن أحمد: **الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز (تفسير الوجيز)**، دار القلم، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

٥٩- حدباء، عزام: خصائص التربية بالأحداث.
Http://www.hayran.inpo/articles.php?Catid=٥٧٨id=١١٢.

٦٠- حوى، سعيد: **الأساس فى التفسير**، ط٦، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٦م.

٦١- خليل، محمد رشاد: **علم النفس الإسلامى العام والتربوى**، دراسة مقارنة، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٧.

٦٢- طهطاوى، سيد أحمد: **القيم التربوية فى القصص القرآنى**، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٦.

٦٣- عمار جيدل: **حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام فى التأسيس للتواصل الإنسانى**، دار الحامد، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م.

٦٤- عمر كحالة: **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، د.ت.

٦٥- ياقوت الحموى، ابن عبد الله الرومى البغدادى: **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٦٦- يالجن، مقداد: **أساسيات التوجيه والإرشاد فى التربية الإسلامية**، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص عربي	١٩٢٣
الملخص إنجليزي	١٩٢٤
المقدمة	١٩٢٥
التمهيد: معنى الابتلاء	١٩٣٢
• **المطلب الأول:** الابتلاء في اللغة	١٩٣٢
• **المطلب الثاني:** الابتلاء في الاصطلاح	١٩٣٣
• **المطلب الثالث:** ما جاء في القرآن الكريم بمعنى الابتلاء	١٩٣٦
المبحث الأول: بين يدي سورة القصص، وفيه ستة مطالب	١٩٤٥
• **المطلب الأول:** اسم السورة وعدد آياتها	١٩٤٥
• **المطلب الثاني:** زمن نزولها	١٩٤٧
• **المطلب الثالث:** المحور الرئيسي للسورة وعلاقته باسمها	١٩٤٨
• **المطلب الرابع:** الهدف العام للسورة	١٩٤٩
• **المطلب الخامس:** التناسب والتناسق بين سورة القصص وما قبلها وما بعدها	١٩٥١
• **المطلب السادس:** التناسب بين بداية السورة وخاتمتها	١٩٥٣
المبحث الثاني: الابتلاءات في سورة القصص، وفيه سبعة مطالب	١٩٥٦
• **المطلب الأول:** ابتلاء بني إسرائيل بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم	١٩٥٦
• **المطلب الثاني:** ابتلاء أم موسى (عليه السلام) بإلقاء موسى في اليم	١٩٥٧
• **المطلب الثالث:** ابتلاء موسى (عليه السلام) بقتل القبطي وفراره إلى مدين	١٩٦٠

• **المطلب الرابع:** ابتلاء موسى (عليه السلام) في سبيل الدعوة إلى الله (عند تكليفه بالرسالة)	١٩٦٣
• **المطلب الخامس:** ابتلاء قوم قارون من خلال استعلائه عليهم بالمال والجاه والسلطان	١٩٦٥
• **المطلب السادس:** ابتلاء موسى (عليه السلام) بالفقر والجوع	١٩٧٠
• **المطلب السابع:** ابتلاء النبي (ﷺ) بتكذيبه من قبل المشركين	١٩٧٣
المبحث الثالث: الابتلاء كتجربة تربوية	١٩٧٨
• **المطلب الأول:** حكمة الله (عز وجل) في الابتلاء	١٩٧٩
• **المطلب الثاني:** الابتلاء للوقاية والإعداد	١٩٨٣
• **المطلب الثالث:** الابتلاء للبناء والتوجيه	١٩٩٥
• **المطلب الرابع:** الابتلاء بالمحاسبة والتقويم	١٩٩٦
• **المطلب الخامس:** أساليب القرآن الكريم في التربية بالابتلاء	١٩٩٩
الخاتمة	٢٠١٤
المصادر والمراجع	٢٠١٩
فهرس الموضوعات	٢٠٢٧